الإمـــارات
THE EMIRATES

مُـرَاوِد

مجلة منوعة تعنى بالتراث الثقافي

العدد 32 – يوليو 2021، السنة الخامسة

ملف الشهر

شجرة القرم في التراث الإماراتي

عبدالعزيز المسلّم
جهود رائدة في حفريات الثقافة الشعبية الإماراتية وتعزيز الهوية الحضارية

«الشارقة للتراث» يحتفي باليوم العالمي للأرشيف

مشاركة نوعية لـ «الشارقة للتراث» في «القاهرة للكتاب»

«الشارقة للتراث» يناقش ألية التعاون مع الهيئة المصرية العامة للكتاب

«الشارقة للتراث» يمد جسور التواصل والتعاون المشترك مع مكتبة الإسكندرية

مُـرَاوِد العدد 32 – يوليو 2021، السنة الخامسة
MARAWED Issue, 32, (JUL 2021), The Fifth Year

MARAWED

Magazine Concerned With The Cultural Heritage

Issue, 32, (JUL 2021), The Fifth Year

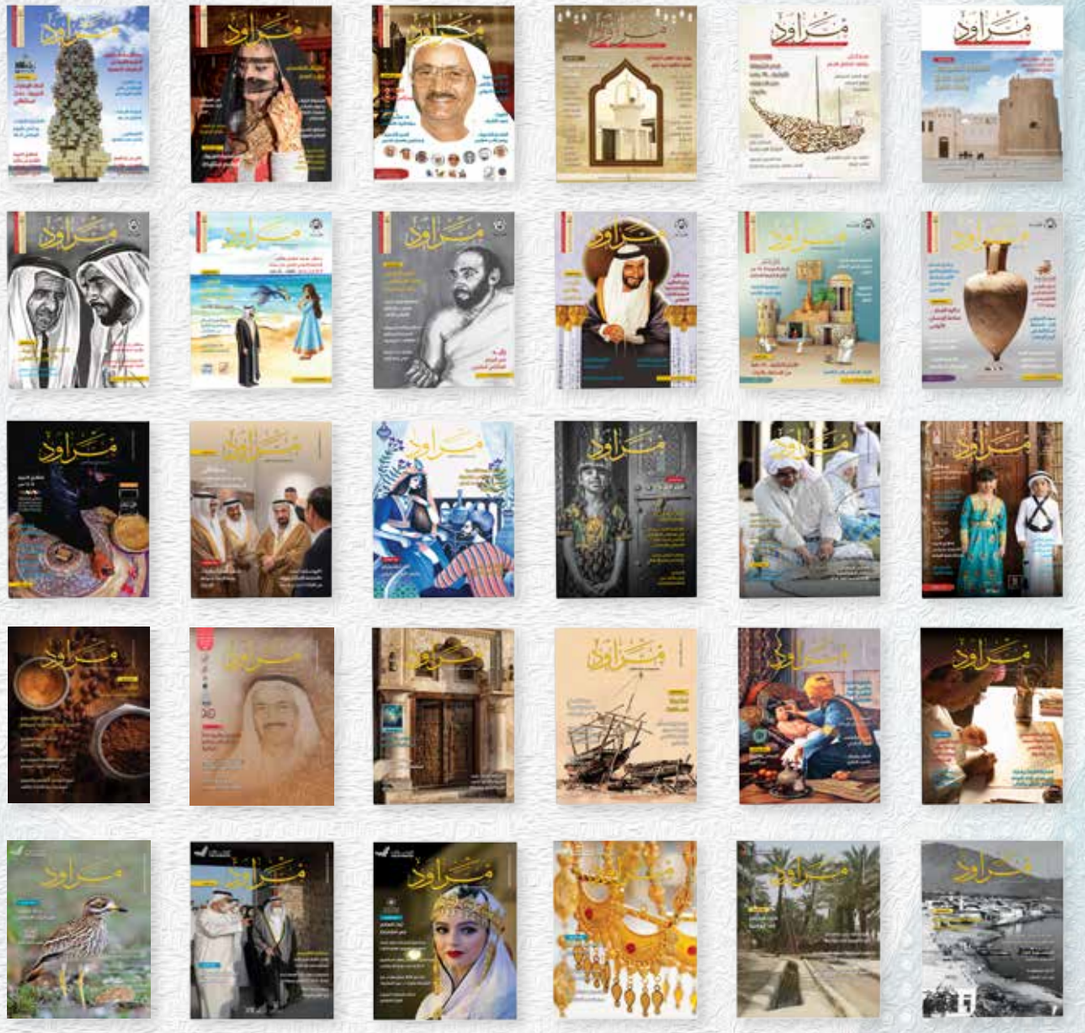

إدارة المحتوى والنشر
Content and Publishing Department
معهد الشارقة للتراث
Sharjah Institute for Heritage
عام الخمسين
50
YEAR OF THE FIFTIETH
UAE

سياسة النشر

تعنى مجلة «مراود» بالتراث الثقافي الإماراتي بالدرجة الأولى، ثم العربي والعالمي، وتسعى من خلال أبوابها إلى الاضطلاع بتلك الغاية، والتركيز على موضوعات تراثية تتّسم بالجدة والموضوعية والتنوّع والشمول، ومقاربة التراث، بحثاً وتوثيقاً ودراسةً وتدقيقاً، كما تعمل المجلة على تتبّع تجليات التراث الثقافي في الأعمال الإبداعية الإماراتية والعربية من خلال الاحتفاء والتوظيف والاستحضار لمختلف عناصره ورموزه.

وتركّز المجلة على الموضوعات الثقافية والتراثية والإعلامية التي تلامس مختلف جوانب التراث الثقافي من مهن وحرف وألعاب وحكايات وأزياء وزينة وحلي وفنون وموسيقى.. وكل ما يتّصل بفروع التراث الثقافي وعناصره، محلياً وعربياً وعالمياً.

ويشترط في المواد المقدّمة للنشر:

- الجِدّة والأصالة، وألا يكون سبق نشرها أو مقدّمة للنشر لدى مجلات أخرى.
- الموضوعية في الطرح والمصداقية في التناول.
- سلامة اللغة، وسلاسة الأسلوب.
- التوثيق العلمي وعزوُ كل قول إلى قائله.
- ألا تتضمن المواد ما ينافي المبادئ الأخلاقية والمقدسات الدينية أو يخدش الحياء، أو ينافي الذوق العام.
- ترفق مع المواد صور عالية الدقة والجودة.
- يراعى في ترتيب المواد المقدّمة للنشر الجانب الفني والموضوعي وفق رؤية هيئة تحرير المجلة.
- يحق لهيئة التحرير التصرف في صياغة المواد، متى كان ذلك ضرورياً، لتتماشى مع سياسة النشر، ومع الطرح الإعلامي المناسب للقارئ.
- إدارة التحرير غير ملزمة بشرح أسباب رفض نشر المواد ولا إرجاعها.
- المواد المنشورة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة، وإنما عن رأي كتّابها.
- تستقبل المواد والمشاركات على بريد المجلة الإلكتروني: marawed@sih.gov.ae

للتواصل مع إدارة التحرير:

0097165014898 - 00971567927270

m.bounama@sih.gov.ae

مراود

شجر القرم في تراث الإمارات

د. عبدالعزيز المسلّم
رئيس معهد الشارقة للتراث
رئيس التحرير
az.almusallam@gmail.com

شكّلت النبات والأشجار على اختلاف أنواعها وأشكالها ووظائفها، ووجوه استخداماتها، ومواطن الانتفاع بها، جزءا أصيلا في ذاكرة المجتمع الإماراتي؛ لذلك نجدها تتمظهر في حلل مختلفة، وتتجلى في صور متعددة؛ في الأدب الشعبي بما يشمله من شعر وعادات قولية وأمثال وحكم، وأغانٍ وأهازيج، كما تبرز كذلك في أشكال الإبداع الفني، سواء تعلق الأمر بالحرف التراثية أو الألعاب الشعبية، ومنها يستلهم الفنانون أعمالهم الإبداعية التي تحتفي بالأشجار بشكل عام.

وبما أن التراث يمثّل رافداً أساسياً لدى المجتمع الإماراتي، بوصفه مرتكزاً للهوية الثقافية والذاكرة الشعبية، فقد حوى الكثير من صنوف التعبير والتوظيف والاحتفاء بشجرة القرم في ذاكرة المجتمع، وفيما أنتجه من قيم وعادات وتقاليد وتجارب وآداب شعبية وإبداعات فنية وخبرات تراثية، تختزل، في عمومها، عبق التراث وعمقه وأصالته وغناه.

ويحوي التراث الثقافي الإماراتي الكثير من الومضات المهمة، والشذرات التراثية الغنية التي تعكس ملمحاً من ملامح استخدام الإماراتيين الشجرة، والاعتماد عليها في حياتهم؛ حيث استخدم لحاء شجرة القرم قديماً للأصباغ، وخشبها للبيوت والأثاث والقوارب؛ لتحمّله الماء، ولصلابته كذلك، أما أوراقه فقد كان يستفاد منها كغذاء للحيوان، وثماره قابلة للأكل، ويعزى إلى الأولين أنهم كانوا يحتطبون شجرة القرم من الشواطئ، وكان يباع للاستخدام وقوداً للطهي في بدايات القرن المنصرم.

وتعضد كتب التراث القديمة والمعاجم اللغوية ذلك المعنى، حيث أورد ابن سيده في كتابه «المخصص»، أن العرب كانت تحتطب شجرة القرم، ويستوقد به لطيب رائحته، وهذا يحيلنا

إلى موضوع مهم يتعلق بمدى استخدام العرب قديماً هذا النوع من الأشجار، فقد ورد في «لسان العرب» لابن منظور الإفريقي ما نصه: القرم، هو ضرب من الشجر، وقال أبوحنيفة: القُرّم بالضم شجر ينبت في جوف الماء، وهو يشبه شجر الدُّلْب في غلظ سوقه، وبياض قشره، وورقه مثل ورق اللوز والأراك، وثمره مثل ثمر الصومر، وماء البحر عدوّ كل شيء من الشجر إلا القرم والكَنْدَلي، فإنهما ينبتان به، وهو مرعى للبقر والإبل، تخوض الماء إليه حتى تأكل أطراف ورقه الرّطبة.

إن ارتباط هذا النوع من الشجر بحياة الإماراتيين قديماً، وتفاعلهم معه، وتشكيله جزءاً كبيراً من هويتهم الثقافية والاجتماعية، يجعل من ضرورة المحافظة على تراث هذه الشجرة أمراً من الأهمية بمكان، لنشر الوعي حول أهميتها وضرورة الحفاظ عليها، لمكانتها وموقعها المهم في التراث الثقافي الإماراتي، والملهم في الوقت نفسه؛ لذلك فهي تعدّ عنصراً أساسياً في الموروث الثقافي والتقاليد الفولكلورية للتجمعات السكانية الساحلية في الدولة.

كم هو جميل أن يتم الاعتناء بهذه الشجرة التراثية، وإفراد مهرجانات تراثية وثقافية تعنى بالاحتفاء بها، وإحياء تاريخها، وانعاش تراثها وحفظه وصونه من الضياع والاندثار! وإنّ معهد الشارقة للتراث ليدعم، بكل صدق، مثل هذه التوجّهات التراثية المهمة، ويسعد بفتح الأبواب مشرّعة للتعاون يداً بيد من أجل الاضطلاع بتلك الغاية النبيلة، والتي يجسّدها هذا الملف الخاص حول شجرة القرم.

الشاهد أن هذا العدد الجديد من مجلة «مراود» نقدّمه لكم في باقة مميزة من الكتابات والدراسات المتخصصة إضافة إلى موضوعات أخرى مهمة في التراث الثقافي.

محتويات العدد

ملف العدد

شجرة القرم في التراث الإماراتي

28

الافتتاحية
د. عبدالعزيز المسلّم

4

أشياء من الماضي
علي العبدان

50

فنون شعبية
علي العشر

54

حكاية
علي أحمد المغني

56

دراسة
محمد عبدالله نور الدين

60

أبجديات تراثية
فهد علي المعمري

64

أمثال تراثية
طلال سعد الرميضي

68

زاوية
د. فهد حسين

72

تحت ظلال الغاف
أدوار حياتية وإشعاع معرفي

78

د. عبدالعزيز المسلّم
جهود رائدة في حفريات الثقافة الشعبية الإماراتية وتعزيز الهوية الحضارية

82

«ضحى الإسلام».. قَرْنًا تدوين العلوم وتأسيس المعارف

98

زكريا الحجّاوي
ورؤيته التأسيسيّة للفن الشعبي

102

الأمثال العربية

92

الغيلان في كتاب الحيوان

93

ريادة الأعمال في القطاع الثقافي

94

أخبار ومتابعات

10

رحلة الهيمان إلى مدارج خورفكان 116

106 الموروث الشعبي اليمني

122 فن القط العَسيري
مشاهد من إبداع المرأة السعودية

110 أولى محطات المسلمين في بلاد الأندلس..
جبل طارق.. أرض أوروبية بهوية عربية إسلامية

128 الرواية العربية والتراث
«ملحمة الحرافيش» أنموذجاً

24 مشروعاً لمقاطعة زيهجيانغ 132

مهرجانات يابانية تحتفي بالإنسان والطبيعة 140

شرفة د. منّي بونعامة 144

مراود

مجلة منوعة تعنى بالتراث الثقافي

رئيس التحرير
د. عبد العزيز المسلم
رئيس معهد الشارقة للتراث

مستشار التحرير
د. ماجد بوشليبي
رئيس جمعية المكتبات والمعلومات

مدير التحرير
د. منّي بونعامة
مدير إدارة المحتوى والنشر

هيئة التحرير
أ. علي العبدان
أ. عتيج القبيسي
أ. عائشة الشامسي
أ. سارة إبراهيم

سكرتير التحرير
أحمد الشناوي

التصميم والإخراج الفني
منير حمود

التدقيق اللغوي
بسام الفحل

التصوير
قسم الإعلام

معهد الشارقة للتراث
SHARJAH INSTITUTE FOR HERITAGE

800TURATH
هاتف: 5092666 6 971+
انستغرام: marawed_sih
الموقع الالكتروني: www.sih.gov.ae

ISBN 978-9948-37-768-9

مشاركة نوعية لـ «الشارقة للتراث» في «القاهرة للكتاب»

شارك معهد الشارقة للتراث في فعاليات معرض القاهرة الدولي للكتاب، في دورته الـ 52، التي انعقدت خلال الفترة من 30 يونيو إلى غاية 15 يوليو 2021، بوفد برئاسة سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس المعهد، والأستاذ أحمد البيرق، مدير إدارة الاتصال المؤسسي، والأستاذ أحمد الدح، رئيس قسم العلاقات الدولية، والدكتور منّي بونعامة، مدير إدارة المحتوى والنشر.

حزمة من اللقاءات العلمية والثقافية

وتتضمن مشاركة المعهد في هذه الدورة، التي تنعقد في ظروف استثنائية، تحت شعار: «في القراءة حياة»، حزمة من اللقاءات العلمية والثقافية مع عدد من المؤسسات المصرية؛ لتعزيز التعاون والشراكة في المجالات العلمية والثقافية، وفي صناعة الكتاب والنشر، منها الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، والهيئة المصرية العامة للكتاب، ومكتبة الإسكندرية، بالإضافة إلى زيارات علمية لمؤسسات تراثية وأرشيفية وإعلامية.

انتخاب عناوين شائقة ذات مضامين ثرية في الثقافة والتراث

وقال سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث: «تأتي هذه المشاركة اتساقاً من الرؤية الثقافية الثاقبة لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، حفظه الله ورعاه، والرامية إلى بناء جسور المعرفة عبر الكتاب، من خلال انتخاب عناوين شائقة ذات مضامين ثرية في الثقافة والتراث والتاريخ والآداب والعلوم والأنثروبولوجيا، وغيرها من الموضوعات المهمة التي يطرحها المعهد بين يدي القارئ الكريم، حتى ينهل من معينها الزاخر».

وأضاف أن معرض القاهرة الدولي للكتاب، وما يتمتع به من سمعة وصيت، وما حققه من تراكم كمّيّ ونوعيّ عبر مسيرته الممتدة لأكثر من نصف قرن، يمثل أكبر محفز للمشاركة في فعالياته؛ للتعرّف إلى التجارب العربية الرائدة في مجال النشر، والنشر المتخصص من خلال المؤسسات ودور النشر المشاركة في هذه الدورة.

وأكد أن المعهد يحرص دائماً على المشاركة الفاعلة والمتميزة في مختلف دورات المعرض؛ لعرض ما ينشره من معاجم وموسوعات وكتب ومنشورات تثري حقل الدراسات التاريخية والتراثية والثقافية، وهي موضوعات من الأهمية بمكان، لافتاً إلى أن هذه الدورة ستفتح المجال لتعزيز التعاون والتواصل والشراكة المثمرة مع مختلف المؤسسات العاملة في هذا المجال.

تعزيز الوعي بأهمية القراءة لدى مختلف الفئات والمستويات الثقافية

من جانبه، أشار الدكتور منّي بونعامة، مدير إدارة المحتوى والنشر في المعهد إلى أن المعهد عمل منذ تأسيسه على التمكين للكتاب وصناعته، وتعزيز الوعي بأهمية القراءة لدى مختلف الفئات العمرية والمستويات الثقافية، وقد أسهم فيما حققه من تراكم كبير، في الوصول إلى القارئ، الذي أصبح عارفاً وشغوفاً ومتفاعلاً مع ما يصدره المعهد من

كتب ومجلات ومنشورات، تبرز جهوده في مجال النشر، نشراً يُحقّق الرؤية، وينهض بالفكرة، ويعمل وفق المعايير العلمية المتعارف عليها في البحث والدراسة أكاديمياً، مؤكداً أن مشاركة المعهد في هذه الدورة من معرض القاهرة الدولي للكتاب ما هي إلا ترجمة حية للجهود الحثيثة التي يقدمها المعهد خدمة الكتاب والكتّاب، وفتحاً لقنوات التواصل والتفاعل مع جمهور القرّاء والناشرين.

تعريف جمهور القرّاء على ما يزخر به تراث دولة الإمارات

وتأتي هذه المشاركة الرابعة على التوالي ضمن رؤية المعهد الرامية إلى مد جسور التواصل الثقافي عبر الكتاب والنشر، وتعريف جمهور القرّاء على ما يزخر به تراث دولة الإمارات العربية المتحدة من تنوع وغنى وثراء، وجهوده الرائدة في مجال صناعة الكتاب والنشر، والتي أثمرت، على مدى الأعوام الماضية، إصدار ما ينوف على 300 عنوان في شتى مجالات التراث الثقافي والتاريخ والثقافة والأنثربولوجيا، ومن بينها أحدث الإصدارات.

وتتضمن الإصدارات المشاركة: الموسوعة الإماراتية للحِرف والمهن والصناعات التقليدية للباحث حسن الغَردقة، ومعاني الكلمات العامية في اللهجة الإماراتية للدكتور سالم القمزي، ولمحات إلى الدلالة اللغوية لأسماء المواضع الشرقية من الإمارات للباحث محمد الحساني، والشارقة في كتابات الرحالة البريطاني وليم بلجريف للدكتور منّي بونعامة، واليازرة للدكتور حمد بن صراي والباحث عبدالله الهامور، وحصن الذيد للباحث خليفة الطنيجي، وعلم الأوبئة في التراث العربي للدكتور خالد حربي، والنخلة النوبية للدكتورة ناهد بابا، والحضارة الإسلامية في جنوب شرق أوروبا للدكتور مسعود إدريس والدكتور محمد علي، والثقافة العربية والإسلامية في مقدونيا وكوسوفا للدكتور إسماعيل أحمدي، وسيرة الراوي محمد خلفان الزعابي للدكتور عبدالله جمعة المغني، ومقاربات نقدية حول موسوعة الكائنات الخرافية لمجموعة مؤلفين، وفنون أصيلة للفنان علي العشر ،وغيرها كثير.

بحث التعاون المشترك مع «أخبار اليوم» المصرية

كما زار وفد المعهد، برئاسة سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس المعهد، مؤسسة «أخبار اليوم» المصرية، وكان في استقبالهم الكاتب الصحفي الأستاذ أحمد جلال، رئيس مجلس إدارة المؤسسة، وعدد من المديرين والمسؤولين فيها.

واطلع سعادة رئيس المعهد، صحبة الوفد المرافق له، على مختلف مرافق المؤسسة وإداراتها وأقسامها، والمشاريع الثقافية والإعلامية التي تشرف على إنجازها في جمهورية مصر العربية وخارجها.

شروح وافية حول منجزات المؤسسة في المجالات الإعلامية والثقافية

واستمع المسلّم إلى شروح وافية حول منجزات المؤسسة في المجالات الإعلامية والثقافية، والخدمات التي تقدّمها في مجال الطباعة والنشر والتوزيع وتنظيم المعارض، بالإضافة إلى المشاريع التي تعتزم تنفيذها خلال المرحلة المقبلة.

د. عبدالعزيز المسلّم والكاتب الصحفي الأستاذ أحمد جلال

وبحث المسلّم مع رئيس مجلس إدارة «أخبار اليوم»، سبل التعاون المشترك بين معهد الشارقة للتراث ومؤسسة «أخبار اليوم» في المجالات كافة، والتي يتصدّرها قطاع النشر والتوزيع والأرشفة والتوثيق، ما سيسهم في تطوير التعاون بين الجانبين إلى آفاق أوسع.

جهود رائدة في توثيق التراث الإماراتي

وقدّم المسلّم عرضاً إضافياً عن معهد الشارقة للتراث، وما يقوم به من جهود رائدة في توثيق التراث الإماراتي، وفتح نوافذ مشرّعة للتواصل والتفاعل مع المؤسسات الثقافية والعلمية والإعلامية، للتعرّف إلى تجاربها والاستفادة منها، معرّجاً على تجربة المعهد في مجال صناعة الكتاب والنشر، بالإضافة إلى الخدمات التي يقدّمها للباحثين والمؤسسات العلمية والتعليمية، والتي جعلت من المعهد، في غضون سنوات معدودة، مؤسسة تراثية وثقافية وأكاديمية ذات توجّه فريد، ومنجز قيّم ومتنوّع يشار إليه بالبنان.

ثلاثة مرتكزات رئيسة

وقال سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم: «يعدّ معهد الشارقة للتراث مؤسسة ثقافية وتراثية أكاديمية، تعمل على تنفيذ الرؤية الثاقبة، والتوجيهات السامية لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة،

الرامية إلى حفظ التراث وتوثيقه، وجمعه وصونه من الضياع والاندثار، من خلال ثلاثة مرتكزات رئيسة، هي: المسار الأكاديمي، وما يقدّمه من دبلومات مهنية، وورش تكوينية ودورات تدريبية تخدم السياسة التعليمية التي ينتهجها المعهد، مشيراً إلى أن البرامج والفعاليات والأنشطة التي ينظمها المعهد على مدار العام، كملتقى الشارقة الدولي للراوي، وأيام الشارقة التراثية، وأسابيع التراث الثقافي العالمي في الشارقة، تعدّ مرتكزاً مهماً ينهض برؤية المعهد ورسالته».

ولفت المسلّم إلى أن النشر يعدّ أحد المرتكزات الأساسية التي يعمل المعهد من خلالها على مد جسور التواصل الثقافي، وتعزيز التعاون المشترك مع المؤسسات العاملة في هذا المجال داخل الدولة وخارجها.

«الشارقة للتراث» يزور دار الكتب والوثائق القومية بباب الخلق

كما زار وفد معهد الشارقة للتراث، برئاسة سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس المعهد، دار الكتب والوثائق القومية بباب الخلق في محافظة القاهرة بجمهورية مصر العربية، وكان في استقبالهم الدكتورة عايدة عبد الغني مدير عام الدار، وعدد من المديرين والمسؤولين فيها.

واطلع سعادة رئيس المعهد صحبة الوفد المرافق له، الذي ضم كلاً من الأستاذ أحمد البيرق، مدير إدارة الاتصال المؤسسي، والأستاذ أحمد الدح، رئيس قسم العلاقات الدولية، والدكتور منّي بونعامة، مدير إدارة المحتوى والنشر، على مختلف مرافق الدار والمتاحف المتخصصة التي تحتويها والتي تعنى

من زيارة دار الكتب والوثائق القومية بباب الخلق

في المقام الأول بالكتابة والكتاب والطباعة وتطور أدواتها وأساليبها، بالإضافة إلى معارض الزخرفة والخط العربي، ومكتبة الكتب التي تأسست سنة 1870 لتقف اليوم شاهداً على الغنى الثقافي لمصر وتكون مركز إشعاع فكري ومعرفي.

واستمع المسلّم إلى شروح وافية حول ما تحويه تلك المتاحف وتاريخها الذي يتجاوز عدة قرون، ودور الدار التاريخي في رفد طلبة العلم بمراجع علمية رصينة، هذا الدور الذي تستمر الدار بأدائه حتى يومنا هذا لما تحويه من مكتبة غنية بأمهات الكتب إلى جانب الكتب العصرية ذات البعد التاريخي.

وكان وفد معهد الشارقة للتراث قد اطلع في مستهل زيارته على فيلم تسجيلي قصير حول جهود صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

صورة جماعية من زيارة دار الكتب والوثائق القومية بباب الخلق

عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة في إعادة ترميم دار الكتب والوثائق القومية بعد الخراب الذي طاله إثر انفجار كان يستهدف مديرية أمن القاهرة في العام 2014، فضلاً عن دور سموه في مد الدار بمجموعة كبيرة من الكتب من مقتنيات سموه الخاصة عوضاً عن تلك التي تأثرت بالانفجار .

«الشارقة للتراث» يناقش آلية التعاون مع الهيئة المصرية العامة للكتاب

صورة جماعية من الزيارة

زار وفد المعهد برئاسة سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس المعهد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، وكان في استقبالهم سعادة الدكتور هيثم الحاج علي، رئيس مجلس إدارة الهيئة، والدكتور أحمد بهي الدين العساسي، نائب رئيس الهيئة.

الكثير من الإنجازات المهمة في مجالات التراث الثقافي

قال سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم:» استطاع معهد الشارقة للتراث في غضون سنوات قليلة، تحقيق كثير من الإنجازات المهمة في مجالات التراث الثقافي، سواء على المستوى الأكاديمي، أو في مجال الدراسات والنشر، أو من خلال البرامج والفعاليات والأنشطة التي ينظّمها على مدار العام، ما أسهم في تعزيز الوعي الثقافي بالتراث، والانفتاح على مختلف التجارب الثقافية والعلمية الرائدة والمتميزة، ما حقق له كثيراً من التراكم الكمّيّ والنوعيّ لمخرجات المعهد».

وأشار إلى أن الجهود التي قام بها المعهد في مجال النشر أسهمت في رعاية العديد من المشروعات الثقافية والتراثية، ودعمها ونشرها، ومنها مكنز التراث الثقافي غير المادي في العالم العربي، والموسوعة الإماراتية للحِرف والمهن والصناعات التقليدية، ومعجم الأدوات في التراث الإماراتي، ومعجم المصطلحات في التراث العمراني، وموسوعة الأقوال والأمثال الشعبية في الخليج العربي، وغيرها من الأعمال التي أسهمت في توثيق التراث الإماراتي والعربي، لافتاً إلى أن المعهد يتطلّع إلى انفتاح على مجالات أكثر رحابة واتساعاً وشمولاً، بالتعاون والشراكة مع مؤسسات وهيئات ثقافية وعلمية، من أجل إتاحة منشوراته على أوسع نطاق.

وأكد أن الجهود المبذولة أسهمت في نشر أكثر من 300 عنوان في مختلف مجالات التراث الثقافي والتاريخ والأدب والأنثروبولوجيا، وغيرها من الموضوعات، ومنها كتب وسلاسل ومجلات ومنشورات لاقت قبولاً ورواجاً كبيرين.

جهود الهيئة المصرية العامة للكتاب في مجالات النشر والتوزيع

واطلع المسلّم، صحبة الوفد المرافق له، على جهود الهيئة المصرية العامة للكتاب في مجالات النشر والتوزيع، وما حقّقته الهيئة في هذا المجال لإتاحة الكتب لجمهور القرّاء، لاسيما من خلال طبعات شعبيّة بأسعار رمزية، تتاح في مختلف منافذ توزيع الهيئة، وفي معارض الكتب التي تنظمها على مدار العام داخل مصر، والمعارض التي تشارك فيها خارج مصر.

الدكتور عبدالعزيز المسلّم والدكتورة عايدة عبد الغني

وبحث المسلّم، مع رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب، سبل التعاون المشترك في مجال النشر والترجمة والتوزيع؛ لصياغتها ضمن مذكرة التفاهم المشترك، شملت العديد من الجوانب، من بينها التعاون في نشر طبعات شعبيّة من إصدارات المعهد، وتوزيعها في منافذ الهيئة، وانتخاب موضوعات من التراث الثقافي بالاتفاق بين الجانبين، مع نشر مختارات وسلاسل من أمهات التراث العربي، بالإضافة إلى ترجمة بعض الأعمال التراثية المهمة، وغيرها من الأمور التي سيتم إدراجها ضمن مذكرة التعاون المشترك.

الارتقاء بالنشر وصناعته

وأشاد الدكتور هيثم الحاج، بجهود معهد الشارقة للتراث في مجال صناعة الكتاب والنشر، مؤكداً أن هذا التعاون والشراكة، سيسهمان في تعزيز التعاون بين الجانبين، والارتقاء بالنشر وصناعته، وإتاحة الكتاب لجمهور القرّاء في دولة الإمارات العربية المتحدة، وجمهورية مصر العربية، وخارجهما، من خلال المنافذ المعتمدة للهيئة.

الدكتور عبدالعزيز المسلّم والدكتور هيثم الحاج علي

مد جسور التواصل والتعاون المشترك مع مكتبة الإسكندرية

د. مصطفى الفقي و د. عبدالعزيز المسلّم

التقى سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، سعادة الدكتور مصطفى الفقي، مدير مكتبة الإسكندرية، بحضور عدد من المديرين والمسؤولين من الجانبين.

استهلّ الدكتور مصطفى الفقي، حديثه بالتعبير عن بالغ شكره وامتنانه لما قدّمه صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، للثقافة العربية والإسلامية، وجهوده القيّمة التي بوّأت إمارة الشارقة مكانة مرموقة في المحافل العربية والدولية، حتى غدا لها حضور وتأثير في المشهد الثقافي العربي والعالمي، مشيراً إلى أن صاحب السمو حاكم الشارقة، اهتمّ بالبشر والحجر، ما كان له بالغ الأثر في تعزيز مكانة الثقافة العربية في الوقت الراهن.

علامات بارزة في مجال توثيق التراث

وأكد أن مكتبة الإسكندرية تعتزّ بتلك الجهود، وبما يقوم به معهد الشارقة للتراث من إسهامات قيّمة، تركت علامات بارزة في مجال توثيق التراث، وصناعة الكتاب والنشر، وهو ترجمة حيّة للتأكيد على ضرورة العمل العربي المشترك، تحت مظلة الثقافة والفكر، لافتاً إلى أنّ مكنز التراث الثقافي غير المادي في العالم العربي واحد من المشروعات الثقافية الكبرى، التي تعبّر بجلاء عن ذلك التوجه.

وأشار الفقي إلى أن التراث الثقافي هو الذي يبقى ويستقرّ في ذاكرة البشر؛ لذلك من الأهمية بمكان الاهتمام به، وبما يتصل به من موضوعات قيّمة؛ لأنها انصهار عربي مشترك، مؤكداً أن مكتبة الإسكندرية على استعداد كامل للتعاون المشترك مع المعهد، خدمة للثقافة العربية والعمل العربي المشترك.

مكتبة الإسكندرية تعدّ صرحاً علمياً وثقافياً جامعاً

وقال الدكتور عبدالعزيز المسلّم: إن التجربة المصرية تعدّ من أهم وأبرز التجارب الثقافية والعلمية على المستوى العربي، وذلك ما يتجلى فيما راكمته من أعلام بارزة، تركت علامات واضحة في تاريخ الثقافة والفكر العربي، مشيراً إلى أن مكتبة الإسكندرية تعدّ صرحاً علمياً وثقافياً جامعاً، تشرئب إليه أعناق الكُتّاب والمثقفين، وينهلون من معينه الزاخر.

وأكد أن معهد الشارقة للتراث، بتوجيهات صاحب السموّ حاكم الشارقة، يتطلع إلى التعاون الدائم والمثمر مع المكتبة، سواء في مجال إعداد البوابة الإلكترونية لمكنز التراث الثقافي غير المادي في العالم العربي، أو من خلال مجالات النشر والتعليم والتدريب، وتبادل الخبرات الثقافية والعلمية.

ولفت إلى أن «المكنز» يعدّ واحداً من المشروعات الكبرى التي قام المعهد برعايتها ودعمها ونشرها، من خلال مشاركة نخبة من الخبراء والباحثين من مختلف أنحاء العالم العربي، ويتطلّع إلى إتاحة هذه المادة العلمية القيّمة لجمهور الباحثين والدارسين والمهتمين، من خلال البوابة الإلكترونية؛ ليسهّل عليهم الاستفادة منها.

وفي ختام اللقاء أهدى المسلّم نسخة من «المكنز»، ولوحة «برج الرابي» لمدير مكتبة الإسكندرية.

مصريون يشيدون بجناح معهد الشارقة للتراث في معرض القاهرة للكتاب

حجاج سلامة – القاهرة

ثمّن كتّاب وباحثون ومثقفون مصريون، مشاركة معهد الشارقة للتراث، في الدورة الـ52 من دورات معرض القاهرة الدولي للكتاب.

وأشادوا بجناح المعهد داخل المعرض، ووصفوه بالجناح الثري، وذلك لما يضمه من كتب ومطبوعات قيّمة، تعدّ إضافة كبيرة للمكتبة العربية.. وعبّروا عن أملهم في أن تمتد مشاركات المعهد إلى معارض كتب أخرى داخل مصر.

واعتبر الشاعر المصري، حسين القباحي، مدير بيت الشعر في الأقصر، أن مشاركة معهد الشارقة للتراث، في معرض القاهرة الدولي للكتاب، هو امتداد لذلك الحضور الذي تتفرد به إمارة الشارقة في شتى المحافل الثقافية، ويأتي أيضاً في إطار الدعم الذي يقدمه صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، لكل ما من شأنه خدمة الثقافة العربية، وكل ما يساعد على نشرها وازدهارها.

وقال الأكاديمي والباحث المصري في مجال العمارة القديمة، الدكتور أحمد عوض، إن مشاركة معهد الشارقة للتراث، أتاحت فرصة كبيرة لكثير من الباحثين في مجال التراث، ووفرت لهم مادة خصبة، وعناوين متعددة، تُلبي نهمهم ورغبتهم في اقتناء مؤلفات وكتب ومطبوعات، هم في أمسّ الحاجة لها.

وشدد عوض على أهمية أن يكون هناك تعاون بين معهد الشارقة للتراث، والمراكز البحثية والثقافية المعنية بالتراث في مصر، من أجل إتاحة الفرصة لتبادل الخبرات والرؤى والأفكار المتعلقة بصون التراث.

وقال الإعلامي المصري، محمد عبدالجواد، إن جناح معهد الشارقة للتراث في معرض القاهرة الدولي للكتاب هذا العام، جاءت متميزة ولافتة، وكانت محطة أولى للباحثين في مجال التراث، من الأكاديميين والكتّاب والطلاب، وكان محل إشادة من قبل زوّار المعرض.

ولفت عبدالجواد إلى الدور الكبير الذي يقوم معهد الشارقة للتراث، بالرعاية الكريمة والدعم الكبير من صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، وفريق العمل المتميز الذي يقوده سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم.

وأكد أن دور معهد الشارقة للتراث، تجاوز محيطه المحلي والعربي والإسلامي، وبات دوراً فاعلاً في

الدكتور أحمد عوض

الشاعر حسين القباحي

مجال حماية وحفظ تراث العالم أجمع.

ومن جانبه، رأى رئيس الجمعية المصرية للتنمية الأثرية والسياحية، أيمن أبوزيد، أن دولة الإمارات العربية المتحدة، بوجه عام، وإمارة الشارقة بوجه خاص، صارت راعية للثقافة والتراث العربي والإسلامي، عبر الكثير من المؤسسات، التي يأتي من بينها معهد الشارقة للتراث، الذي حقّق مكانة عربية ودولية، وبات يتمتع بشهرة واسعة، في الأوساط المعنية بالتراث بشتى قارات العالم.

إضافة إلى ما يصدر عن دائرة الثقافة بالشارقة، ومعهد الشارقة للتراث، من دوريات ومطبوعات تُثري المكتبة العربية، وتخدم جموع الكتّاب والباحثين بشتى أقطار العالم العربي والإسلامي، بل امتد صداها وتأثيرها إلى الصين وبلدان شرق آسيا، وإلى أوروبا.

ويشير الأديب والقاص المصري، الطيب أديب، إلى أن أوجه التعاون الإماراتي المصري في مجال الثقافة، هو تعاون ممتد ومتواصل على مدار عقود مضت.

وأن مصر كانت أول بلد يشهد تكريم دائرة الثقافة بإمارة الشارقة، برعاية صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، للرموز الثقافية العربية، بجانب مشاركة المثقفين والكتاب والمبدعين المصريين في شتى الفعاليات الثقافية والفنية والفكرية، التي

الطيب أديب

أيمن أبو زيد

تنظمها إمارة الشارقة، وذلك بدعوات كريمة من مختلف المؤسسات والهيئات الثقافية والفنية والتراثية بالشارقة.

إلى جانب رعاية صاحب السمو حاكم الشارقة بيت الشعر في مدينة الأقصر، وهو البيت الذي يتولى إدارته الشاعر حسين القباحي، وتقام فعالياته ضمن مجموعة بيوت الشعر التي أقامتها الشارقة في عدد من العواصم والمدن العربية، وعبر دائرة الثقافة، وبيت الشعر في الشارقة، وبرعاية كريمة ودائمة من صاحب السمو حاكم الشارقة، وغير ذلك كثير من أوجه التعاون الثقافي، بين مصر ودولة الإمارات العربية المتحدة، وخاصة إمارة الشارقة، التي تُعد راعية للثقافة في العالمين العربي والإسلامي.

وكان معهد الشارقة للتراث في فعاليات معرض القاهرة الدولي للكتاب في دورته الـ 52 التي أقيمت في شهر يوليو الماضي.

وتضمنت مشاركة المعهد باقة من اللقاءات العلمية والثقافية مع عدد من المؤسسات المصرية، لتعزيز التعاون والشراكة في المجالات العلمية والثقافية، وفي صناعة الكتاب والنشر، ومن بين تلك المؤسسات والهيئات: الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، والهيئة المصرية العامة للكتاب، ومكتبة الإسكندرية، بجانب قيام وفد المعهد برئاسة سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، بزيارات علمية لمؤسسات تراثية وأرشيفية وإعلامية مصرية.

تضم خمسة أجزاء وغطّت مختلف المهن والحِرف في البيئات الإماراتية كلّها

معهد الشارقة للتراث ينظّم جلسة تعريفية بـ «الموسوعة الإماراتية للحِرف والمهن والصناعات التقليدية»

نظّم معهد الشارقة للتراث، على مسرح المعهد، جلسة نقاشية لإطلاق «الموسوعة الإماراتية للحرف والمهن والصناعات التقليدية»، لمؤلفها الباحث حسن الغردقة، وشارك في الجلسة سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، والمؤلف الباحث حسن الغردقة، والدكتور منّي بونعامة، مدير إدارة المحتوى والنشر في المعهد.

تضيف الكثير إلى الثقافة المحلية

وقال سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث: «إن الموسوعة الإماراتية للحرف والمهن والصناعات التقليدية، تضيف الكثير إلى الثقافة المحلية، كما تضيف إلى المكتبة إصداراً مهماً، خصوصاً أن العمل الموسوعي أو المعجمي أو القواميس تكون مصادر أكثر مما هي مراجع،

والمصدر أحياناً نحتاجه أكثر من المرجع، على الرغم من أهمية المراجع، فالمصدر هو الذي يبنى عليه البحث».

ولفت إلى أن الجهد الذي بذله المؤلف في هذه الموسوعة هو جهد كبير جداً، كما أن هذا العمل سيكون مهماً جداً للجامعين الميدانيين، إذ سيجدون فيه كثيراً من المفاتيح اللازمة لمعرفة المزيد عن عالم الحرف والمهن التقليدية في الإمارات.

وأعرب عن شكره وتقديره للباحث، ولما بذله من جهد كي ترى هذه الموسوعة المكوّنة من خمسة أجزاء النور، لتقدم وجبات دسمة في تاريخ المهن والحرف الإماراتية، تلك المهن التي مارسها الرجال والنساء.

أهمية الرواية الشفهية ومكانتها

ومن جانبه، قال الباحث حسن الغردقة، جاءت الموسوعة في خمسة أجزاء، وغطت البيئات البرية والبحرية والجبلية، وجمعت فيها حرفاً عديدة، نسائية ورجالية، من خلال مقابلات ولقاءات وحوارات مع كبار السن ومع قدامى الحرفيين.

ولفت إلى أنه ركز على أهمية الرواية الشفهية ومكانتها التي استقاها من الحرفيين وكبار السن، ضمن أصول الجمع الميداني، وتمكّن من جمع عدد كبير من تلك الحرف والمهن التي كانت حاضرة في كل بيئات الإمارات، حيث التقى عدداً كبيراً من أولئك المعنيين بتلك الحرف، ووثق الروايات الشفهية بشكل علمي ومنهجي، ونجم عن كل هذا الجهد هذه الموسوعة التي ستكون مرجعاً جديداً للباحثين وللأجيال القادمة الراغبة في معرفة التاريخ والتراث.

ولفت إلى أن في الإمارات حرفاً كثيرة وعديدة، منها حرف تحتاج إلى أعداد كبيرة، كالحرف البحرية مثل الغوص والصيد، في حين أن بعض الحرف تقتصر على عدد قليل مثل الحدّادين والصفارين وصناع السيوف والخناجر. مشيراً إلى أن الموسوعة ممثلة لكل الحرف، سواء حرف رجالية أو حرف نسائية.

أحد أشكال التراث الحي الملموس والمحسوس

وقال: تشكّل الحرف والمهن والصناعات التقليدية أحد أشكال التراث الحي الملموس والمحسوس، يعكس صورة التنوّع الثقافي والتاريخي الذي كان سائداً في المجتمعات، ويرسم صورة عن طبيعة الحياة اليومية، وكيف استطاع الإنسان في هذه الأرض أن يصنع ويبدع بيده كل أدواته التي تساعده على كسب رزقه، وتنمية مصادر دخله، وقد ساعد تنوع البيئات الطبيعية في الإمارات على ظهور كثير من الحرف والصناعات التقليدية المحلية.

عرض مهن كثيرة

تميزت الموسوعة بأنها رصدت مهناً وصناعات تقليدية عدة، سواء للرجال أو للنساء، من بينها مثلاً في الطب الشعبي؛ كمهنة العطار ومهنة المجبر (الميبر)، ومهنة الحجامة، وغيرها، وكذلك عرضت الموسوعة مهناً أخرى، مثل صناعة الطبل الشعبي، ومهنة الطواش، ومهنة العبار، والعسال، ومهنة الغوص بحثاً عن اللؤلؤ، وأدوات الغوص، وصناعة الفخار، ومهنة القصاب، ومهنة قالع الحجارة الجبلية، والمسحر (أبو طبيلة)، وتطرقت الموسوعة إلى صناعات عدة، مثل صناعة المجز، وصناعة محمل الجمل، وصناعة المناديس الخشبية، وغيرها من المهن والصناعات والحرف التي كانت حاضرة في كل بيئات الإمارات؛ البحرية والجبلية والبرية.

«الشارقة للتراث» يحتفي باليوم العالمي للأرشيف

احتفل معهد الشارقة للتراث باليوم العالمي للأرشيف الذي يصادف في التاسع من يونيو من كل عام، حيث زار وفد من المعهد دارة الدكتور سلطان القاسمي، وجال في قاعاتها التي تحتوي على أنفس المقتنيات في عالم المخطوطات والدراسات، كما نظم رحلة افتراضية إلى الأرشيف الوطني الذي يعتبر أقدم وأغنى أرشيف عن الخليج العربي.

الريادة في تقديم خدمات أرشيفية ووثائقية وبحثية

وقال سعادة الدكتور عبد العزيز المسلم، رئيس معهد الشارقة للتراث:» جاء احتفالنا في اليوم العالمي للأرشيف على مستويين هذا العام، الأول زيارة لدارة الدكتور سلطان القاسمي، المليئة بالمخطوطات القديمة والخرائط المطبوعة النادرة، والمقتنيات المتنوعة التي يستفيد منها كل باحث ودارس، وكل عاشق للمعرفة والتاريخ والعلم».

ولفت إلى أن صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة، يقول دوماً بأن هذه الدار تحوي أقدم الأشياء من ناحية التصوير والمخطوطات والوثائق والمقتنيات، أما المستوى الثاني فهو تنظيم رحلة افتراضية للأرشيف الوطني، للتعرف عليه ودوره في الأرشفة وآليات حفظ الأرشيف للأجيال القادمة وصونه وحمايته».

وأضاف أن الأرشيف الوطني يستند إلى رؤية واضحة تتمحور حول الريادة في تقديم خدمات أرشيفية ووثائقية وبحثية متميزة، أما رسالته

فهي الحفاظ على التراث الوثائقي لتقديم المعلومات الموثقة والأمينة لمتخذي القرار وعامة الناس، ولتعزيز روح الانتماء والهوية الوطنية، ويقوم بعمله متحلياً بالسرية والثقة والتميز وروح الفريق.

ترسيخ الهوية الوطنية من خلال توثيق الذاكرة الشعبية

من جانبها، قالت الأستاذة عائشة الحصان، مدير مركز التراث العربي التابع لمعهد الشارقة للتراث:» احتفاء باليوم العالمي للأرشيف الذي يصادف في التاسع من يونيو من كل عام، يؤكد معهد الشارقة للتراث على تنفيذ وتحقيق رؤية صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة، في ترسيخ الهوية الوطنية من خلال توثيق الذاكرة الشعبية وحفظها في دور المحفوظات والأرشيف، ومن ثم إتاحتها للباحثين والدارسين، باعتبارها مصدراً مهماً من مصادر المعلومات، وأداة رئيسية لإعداد البحوث والدراسات الثقافية والتاريخية، فالأرشيف يقوم بدور محوري في حياة الشعوب والأمم، من توثيق حركة المجتمع ومواكبة تطوره الحضاري عبر مراحله التاريخية».

زيارة دارة الدكتور سلطان القاسمي

زار وفد من مركز التراث العربي التابع لمعهد الشارقة للتراث، دارة الدكتور سلطان القاسمي؛ للاطلاع على المقتنيات العلمية والخاصة لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة، التي جمعها خلال سنوات عدة، ليمكن للباحثين والمهتمين الاستفادة منها داخل الدارة.

وتجوّل وفد المركز في قاعات الدارة التي تحوي أنفس المقتنيات وتعرض بشكل مميز ومبتكر، كما تعرّف على المكتبة الأرشيفية، الخاصة بصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، الغنية بالكتب النادرة والقيّمة، بالإضافة إلى جميع الأعمال الأدبية لسموه.

رحلة افتراضية إلى الأرشيف الوطني

نظم معهد الشارقة للتراث رحلة افتراضية إلى الأرشيف الوطني، أتاحت الفرصة للمشاركين والحضور التعرف على الأرشيف الوطين ودوره ومكانته والجهود المبذولة من أجل حفظ وصون تاريخ دولة الإمارات، وتكوين ذاكرة وطنية غنية.

كما عرض المعهد هبوط أول طائرة في مدينة الشارقة عام ١٩٣٢م، ومعرض الآثار وبيت التراث في العام ١٩٩٥، كما وردت في صحيفة الخليج، حيث شهد صاحب السمو حاكم الشارقة افتتاح المعرض حينها، مؤكداً على أهميته التعليمية للأجيال.

أهل البحر

في مقطع صوتي وحديث مع سعادة الدكتور عبد العزيز المسلم، رئيس معهد الشارقة للتراث، تحدث الراوي إبراهيم حميد بن صندل، عن حياته في الغوص، منذ كان في السابعة من عمره، وتطرق إلى عناوين ومحطات مهمة في رحلات الغوص، فهو من أهل البحر الذي عرف الكثير من أسراره وحكايته ورزقه.

ملف العدد

30 شجر القرم من الماء
مشروع معرض شجر القرم من الماء

34 الإمارات تقود العالم لإنقاذ شجر القرم
من المخاطر التي تهدده

39 شجرة القرم.. ملجأ وثروة فريدة

43 أشجار القرم..
حاضنة البيئة الطبيعية بالإمارات

44 أشجار القرم كنوز صديقة للبيئة والإنسان

46 محمية أشجار القرم في كلباء..
ملاذ لعشاق الطبيعة

48 أشجار القرم.. مصدر إلهام
عرض الاحتفال الرسمي باليوم الوطني الـ49 للإمارات

شجرة القرم في التراث الإماراتي

تمثل أشجار القرم أو المانجروف، قيمة متأصلة في دولة الإمارات العربية المتحدة، وتحظى بمكانة بارزة لدى مواطنيها، وهي بمثابة كنز بيئي، وتتمتع دولة الإمارات بطبيعة متنوّعة، تضم العديد من الكائنات البرية والبحرية، وكذلك النباتات التي ترسم ملامح تفرّد المنطقة وتميّزها من ناحية البيئة، ومنها أشجار القرم أو المانجروف، التي ارتبطت بالمنطقة عبر سنوات طويلة، حيث يتميز هذا النوع من الأشجار بالنمو في المياه المالحة، بالإضافة إلى قدرته على امتصاص الغازات الدفيئة، بما يسهم في خفض نسب تلوث الهواء، وخفض تأثير ظاهرة التغيّر المناخي، كما تسهم غابات القرم في المحافظة على البيئة من خلال حماية الخط الساحلي من التآكل؛ بسبب الأمواج والتيارات المحيطة.

شجر القرم من الماء

مشروع معرض شجر القرم من الماء

متابعة: زهيدة زيتون

معرض غوردون، غيلونغ

تحتضن مدينة غيلونغ الأسترالية معرض «غوردون غيلونغ» بالتزامن مع اليوم العالمي للحفاظ على النظم البيئية لأشجار القرم، ويستمر حتى 8 أغسطس.

يقام المعرض في مدينة غيلونغ، التي تعدّ شريكاً رئيساً لنا، برعاية دولية من معهد الشارقة للتراث في الإمارات العربية المتحدة، بالتعاون مع مجموعات مجتمعية من مدينة غيلونغ وخارجها، بالإضافة إلى مشروع مصب بارون (طلاب مدرسة بارون هيدز الابتدائية)، وكذلك مع كلية نورثرن باي في كوريو، وبصفة خاصة مع المجموعة البيئية التي تسمى كيدز ثرايف.

من المقرر أن تحيي حفل الترحيب بالضيوف بالوصول إلى البلاد، يوم الاثنين الموافق 26 يوليو، كورينا إكليس من إقليم واداورونج.

يهدف المشروع إلى الآتي:

- تشجيع المجتمع على إدراك جمال أشجار القرم وأهميتها، من خلال معرض فني متعدد الوسائط، وورش عمل وفعاليات حوارية.
- حماية الأراضي الرطبة وأشجار القرم على الصعيد العالمي، التي لها علاقة قوية بالسكان الأصليين.
- تشجيع المناقشة مع المتحدثين الضيوف حول أشجار القرم، والأعشاب البحرية، والأراضي الرطبة، خلال فترة المعرض.
- التأكيد على أهمية إيجاد التراث، ورواية القصص المعاصرة لأشجار القرم، التي تعمل كنقطة مرجعية للهوية الثقافية والذاكرة الشعبية في فيكتوريا.

أهمية أشجار القرم

تعد غابات أشجار القرم والأراضي الرطبة موائل حيوية في النظم البيئية العالمية، بما في ذلك على ساحلنا في فيكتوريا، ولسوء الحظ، فقدت مساحات شاسعة من الغابات الساحلية؛ بسبب التنمية الساحلية، وتربية الأحياء المائية، والتلوث، والأنشطة البشرية الأخرى، ولا يمكن أن ننسى أيضاً ارتباط البشر الكبير بفقدان مساحات هائلة من أشجار القرم.

الفن وأشجار القرم

يعيش في أستراليا أشخاص من خلفيات متعددة الثقافات والعرقيات، بجانب السكان الأصليين، ويمثل الفنانون في هذا المعرض هذا التنوع، كونهم من جميع أنحاء العالم. ويعتزم الفنانون الاثنا عشر، الفيكتوريون الدوليون والإقليميون، تقديم معرض فني متعدد الوسائط، من الأعمال التي تدور حول موضوع المعرض (شجر القرم من الماء). يقدم أعضاء المشروع خلال مجموعة رائعة من الوسائط: الألوان المائية الانطباعية من قوارب الكاياك، والنحت، والفيلم القصير، والفيديو، والنسيج، والنحت، وأداء الرقصات، والموسيقى، والتركيب الفني، بجانب عدد من ورش العمل المتنوّعة.

يتمتع جميع الفنانين بخبرة واسعة في جميع أنحاء العالم، وقد اشتملت بعض الأعمال على تعاون عبر بلدان متعددة، ويعكس ذلك إيمان الفنانين أن الفن لا يرتبط بالموسيقى والأدب والفلسفة فحسب، بل أيضاً بالعلم والرياضة (التجديف بقوارب كاياك). يرغب الفنانون أيضاً في تشجيع المجتمع على اكتشاف جمال الأراضي الرطبة، وأشجار القرم، من خلال رحلات ورش عمل التجديف على مدار المعرض. ويقوم أحد الفنانين بالتجول حول أشجار القرم في بحيرة كونيوار وخليج لايم بيرنرز، قبل الرسم من قوارب الكاياك، وستشارك زاهدة تجربتها في ورش العمل، بالتعاون مع المجتمعات في منطقة غيلونغ وغرب ملبورن، بينما يسلط المتحدثون الضيوف الضوء على السمات المهمة لأشجار القرم، وسيعقد الفنانون المشاركون ورش عمل في الطباعة والرسم والنسيج.

الفنانون هم:

أليكسيس جامبيس، ونيكولا سيريني، وإنريكو سانتوتشي، وديب تايلور، وريتشارد كولوبي، وجاكوي دريسنس، وستيفاني نيفيل، وجيرالدين تشانسارد، وهيلين وبيتر مارتن، وكيري تايلور، ومالكولم غاردينر، وزاهدة زيتون ميلي، وطلاب مدرسة بارون هيدز الابتدائية.

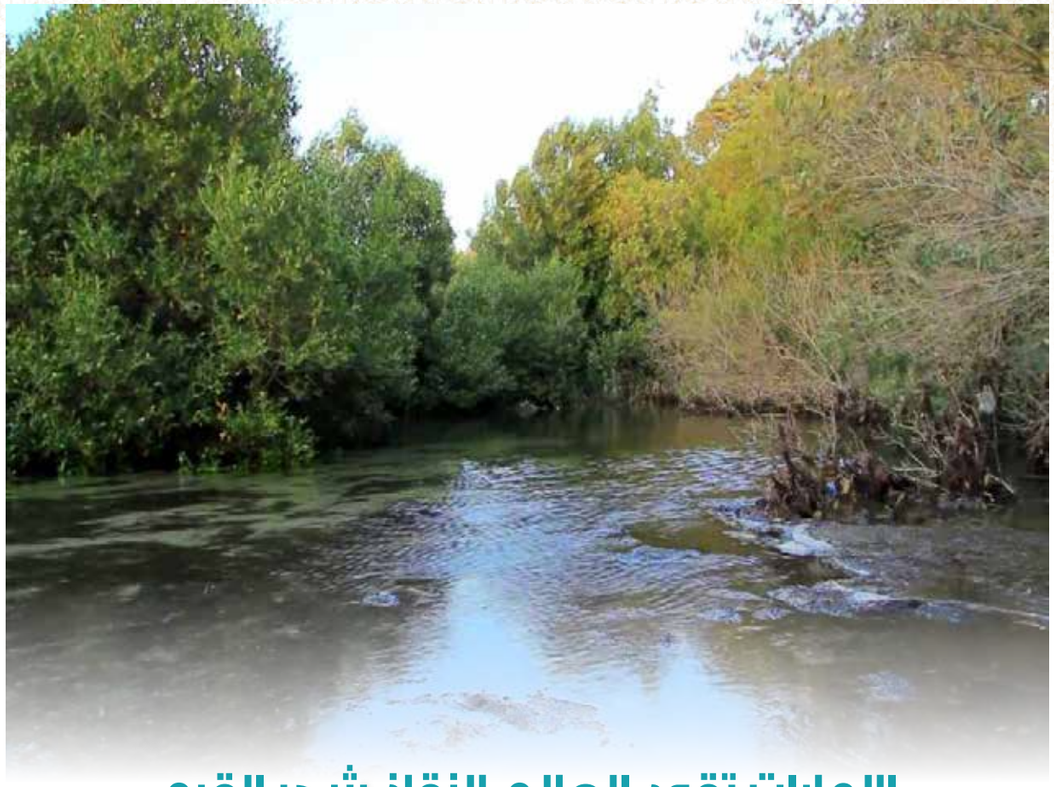

الإمارات تقود العالم لإنقاذ شجر القرم من المخاطر التي تهدده

فاطمة المزروعي
رئيس قسم الأرشيف الوطني

قد يستغرب بعضهم الحديث عن شجر القرم؛ لأننا في العادة نعرف أشجاراً أخرى، مثل: النخل، السدر، الغاف، وغيرها. وتعدّ هذه الأشجار مكوناً للبيئة الطبيعية لبلادنا؛ لذا نجدها في المناهج الدراسية، بل جاءت في السير التراثية، وأيضاً في القصائد الشعرية، هذا جميعه عزّز من وجودها في الذاكرة المجتمعية للناس، وباتت لهذه الأشجار حفاوة ومكانة في القلوب، وهي تستحق هذه المكانة، إلا أن لدينا أشجاراً أخرى لا تقل

حيوية ولا أهمية، وأيضاً لها عمقها الضارب في الزمن، مثل شجر القرم، وقد يفاجأ بعضهم عند القول إنها أشجار شاطئية تعيش على الماء المالح، ومع أنه عرف أنها تنمو في مناطق على شواطئ جنوب شرق آسيا، إلا أنها عرفت أيضاً بوجودها على شواطئ الخليج العربي منذ القدم، وحتى العصر الراهن، وبعض العلماء يربطون نوعاً منها يسمى إفيسينيا بوجودها على البحر الأحمر، وأيضاً على الخليج العربي. بصفة عامة هذه الشجرة تعدّ ضاربة العمق في التاريخ البشري، حيث وجدت كتابات لعالم إغريقي يسمى ثيوفراستس، تحدث عنها في القرن الرابع قبل الميلاد، لكن المدهش أنه في ذلك الزمن القديم جداً، تحدث عن فوائدها الطبية، فقد خلص للقول إن بادرات نباتات القرم كانت تستخدم كمقوّ عام، حتى جاء العالم العربي ابن عباس في عام 1230، وأضاف أنه يمكن استخلاص مواد طبية تعالج اللثة وأمراض الكبد. كما أجريت دراسة على هذه الأشجار التي تعيش على سواحل البحر الأحمر والخليج العربي من السعودية، ووجد العلماء أنها تحتوي على مواد تعدّ مصدراً للهرمونات المقوية. أيضاً نجد لهذه الشجرة وجوداً في الذكرة للحضارة العربية القديمة، عندما جاء ذكرها في معجم «لسان العرب» لابن المنظور، حيث قال: «القرم ضرب

من الشجر لا أدري أعربي هو أم دخيل؟!». هذه الشجرة التي على غير العادة تعيش على الماء المالح، لقيت اهتماماً واسعاً منذ القدم وحتى العصر الراهن، حيث قدّر العلماء عمرها بنحو 65 مليون سنة، وكما هي الحال منذ القدم حتى هذا العصر، وجدت فوائد عدة لهذه الشجرة، منها تجميل الشواطئ، فضلاً عن إسهامها في حماية الشواطئ من الأمواج، وتجد الكثير من الطيور في هذه الأشجار المأوى والغذاء، مما يجعلها مسهمة

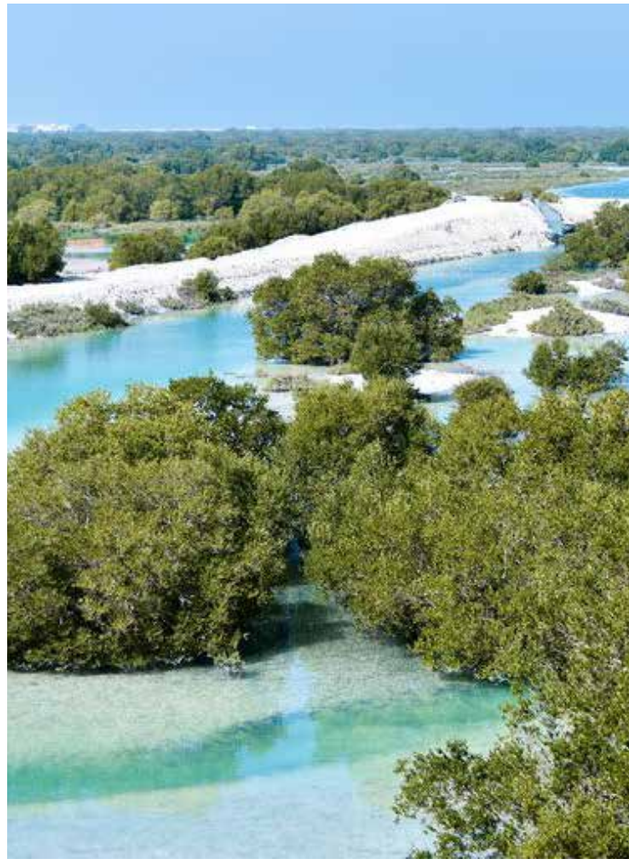

بشكل واضح في التنوع البيئي، فضلاً عن أنها مأوى للطيور المهاجرة. والأهم أن علماء البيئة والبحار، وبعد دراسات كثيرة، وجدوا أن هناك نحو 35 نوعاً من الأسماك والقشريات، وكثير من الحيوانات البحرية تعيش على هذه الشجرة، وتعتمد عليها في الغذاء أو المأوى. ولا ننسى أن الأفرع والبذور من هذه الأشجار تستخدم طعاماً للحيوانات البرية، مثل الجمال، وقديماً استخدمت أخشاب هذه الأشجار كدعامات في مناجم الفحم، وسكك الحديد، أو أسقف المنازل، وهناك اعتمادات أخرى للإنسان على هذه الشجرة، والسبب قوتها وصلابتها.

في العصر الحديث تواجه هذه الأشجار تهديداً واسعاً على مستوى العالم بأسره، حيث يلاحظ العلماء أن البيئات البحرية التي تعيش فيها هذه النباتات آخذة في التدهور والتراجع من إفريقيا إلى آسيا مروراً بأستراليا؛ لهذا صنف كثير من مناطق هذه الأشجار بأنها بيئات مهددة بالانقراض والتلاشي، ولعل وهن هذه الشجرة، أو كما يقول العلماء، هشاشتها، أدت إلى زوالها من مساحات واسعة من الحياة البيئية، لكن تبقى عوامل التدخل البشري قوية وحاضرة، ولا يمكن تجاهلها أو إنكارها، بل هي المسبب الرئيس لتقلص مساحات وجود هذه الشجرة العريقة العظيمة. وأقول عظيمة؛ لأن لهذه الشجرة أهمية بالغة وقصوى، فهي مفيدة جداً للبيئة البحرية والبرية، على حد السواء؛ لأنها تسهم في تثبيت التربة، وتعمل كسدود، فضلاً على أنها مأوى

لكثير من الحيوانات البحرية، لاسيما الكائنات الصغيرة منها، ولا ننسى الطيور التي تأوي إليها، وتبني أعشاشها فيها.

في الإمارات، ولله الحمد، تمت حماية هذه الشجرة، وأقيمت لها المحميات، حيث تكونت بيئة بحرية زاخرة بالحياة، وقد جاء هذا الاهتمام مبكراً جداً، وهو ما أسهم في حماية هذه الثروة البيئية، والتي معها تمت حماية كثير من الكائنات الحية الأخرى. ومثل هذا الاهتمام والرعاية للحياة البيئية ليست غريبة؛ لأنه تم تأسيسها وغرسها في القلوب على يد الوالد الراحل المؤسس الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رحمه الله، الذي أولى الحياة البيئية جل العناية والاهتمام، حيث كانت لديه، رحمه الله، رؤية واضحة مبكرة عن الحياة البيئية، وأهمية المحافظة عليها وحمايتها، وقد تجلى هذا الاهتمام وتلك الرعاية في كثير من المشاريع، وكثير من المبادرات، وأيضاً في كثير من كلماته وتوجيهاته، ومنها عندما قال: «إننا نولي بيئتنا جل اهتمامنا؛ لأنها جزء عضوي من بلادنا وتاريخنا وتراثنا، لقد عاش آباؤنا وأجدادنا على هذه الأرض، وتعايشوا مع بيئتها في البحر والبحر، وأدركوا بالفطرة، وبالحس المرهف الحاجة للمحافظة عليها، وأن يأخذوا منها قدر حاجتهم فقط.

وقد وجه، رحمه الله، بزارعة أشجار القرم؛ لذا نجدها اليوم تغطي مساحات واسعة، على سبيل المثال العاصمة أبوظبي وحدها تحتضن 110 كيلومترات مربعة من أشجار القرم الطبيعية

والمزروعة، وهي توفر مواقع كمأوى، ومصدر تغذية وتكاثر للأسماك وغيرها، مثل السلاحف وثعابين البحر والروبيان ونحوها. وبفضل الله نجحت هيئة أبوظبي للبيئة، في إعادة استزراع نوع من أنواع شجر القرم، كان قد انقرض منذ نحو مائة عام يسمى Rhizophora mucronata حيث تمت زراعة أعداد كثيرة من الشتلات في جزيرة غناصة، ولا ننسى متنزه القرم الوطني، والذي افتتح لاستقبال الجمهور في عام 2014،

حيث يعدّ غابة طبيعية من أشجار القرم، تضم أكثر من 60 نوعاً من الطيور، منها الفلامنغو الكبير، وهناك محميات أخرى في الإمارات لأشجار القرم، مثل محمية في مدينة كلباء، وتقع على مساحة 4997 كيلومتراً مربعاً، وتمتاز المحمية بأنها أرض رطبة، ولها أهمية دولية، وقد تم تسجيلها ضمن اتفاقية حماية الأراضي الرطبة، عام 2013؛ لأنها تحتوي على فصائل وكائنات مهددة بالانقراض، وأنواع عدة من الطيور النادرة، ومنها الطائر الرفراف المطوق العربي.. وستجد هذه الشجرة في مواقع أخرى، مثل دلما وجزيرة صير بني ياس، وبوطينة، وأبو الأبيض وجزر الطبية، وجزير السعديات، التي قامت هيئة البيئة في أبوظبي، بزراعة 750 ألف شتلة من القرم، وهي تشكل نحو 25٪ من مساحة الجزيرة.

أعتقد أن هذه الشجرة، عانت في مختلف أرجاء العالم، فهي تتأثر سريعاً بالعوامل البيئية والتغيرات في الأجواء، بل تتأثر حتى بحركة المد والجزر، لكن الأثر الأكبر الذي لم تستطع أن تقاومه هو تدخل الإنسان وعبثه في بيئتها، لكنها في الإمارات، ولله الحمد، كان وضعها مختلفاً تماماً عن كثير من دول العالم، حيث حظيت بالاهتمام والرعاية، حتى باتت الشواطئ الإماراتية مكاناً لها، ومصدر إلهام لدول ومجتمعات كثيرة من العالم.

شجرة القرم.. ملجأ وثروة فريدة

اهتم الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان اهتماماً كبيراً بشجرة القرم، أو ما يطلق عليها «شجرة المانجروف»، فقد سعى إلى توسيع مساحة زراعتها، وذلك لأهميتها الكبرى، ودورها التاريخي المحفور في الذاكرة.

ففي أواخر سبعينيات القرن الماضي، أطلق الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، برامج التشجير الواسعة لشجرة القرم، مما أدى إلى اتساع مساحتها، فالمساحة العظمى موجودة في إمارة أبوظبي، بنحو 85 كيلومتراً مربعاً، والذي يميز هذا النوع من

مريم سلطان المزروعي
باحثة وكاتبة من الإمارات

أشجار القرم مقدرته على التعايش والتكيف، وإذا جئنا لتعريف شجرة المانجروف، فهي عبارة عن مجموعة نباتات استوائية نموذجية، تمثل نمطاً خاصاً من الأشجار، تنمو في نظم مائية مالحة أو قليلة الملوحة، وهي تحمي الشواطئ من عوامل التعرية والتجوية، والذي يميز هذا النبات أن بذوره تنبت وهي على النبات قبل أن تسقط على الأرض، فهي تنمو في تربة مكونة من الطين والصلصال الناعم، كما أن اسم المانجروف يعود أصله إلى بلاد الهند الغربية، وسواحل المحيط الهندي، وخاصة المنطقة الهندية الماليزية، ويقال إن هذه البذور استطاعت ونجحت في الطفو لفترات طويلة فوق سطح الماء، وحملتها التيارات البحرية غرباً إلى سواحل الهند وشبه الجزيرة العربية وشرق إفريقيا، وبهذا انتشرت في جميع أنحاء العالم.

غابات أشجار القرم في دولة الإمارات العربية المتحدة، تُعدُّ جزءاً نفيساً من عجائب الطبيعة بوجه خاص؛ فهذه الأشجار تنسجم بتناغم مع مياه البحر والشواطئ، وتنتشر على بعض الخيران الواقعة بين منطقة طريف وشمال جزيرة أبوظبي، بالقرب من الرمس (إمارة رأس الخيمة)، وانتشار كبير في خور كلباء (الساحل الشرقي)، وكذلك في جزر البزم الغربي، ومروح وجنانة من شمال خور البزم، وجزيرة أبو عبيد وجزيرة سينية في أم القيوين، وخور غناضة وخور القرم الذي يقع على بعد عشرة كيلومترات جنوب غرب إمارة رأس الخيمة، وهناك محمية مهمة، هي محمية رأس الخور في دبي.

يذكر محمد سالم من مدينة دبي: «تعدّ محمية رأس الخور من أجمل المحميات الطبيعية، التي تحتوي على أهم النباتات والأشجار، والتي منها شجرة القرم التي تعمل مصداً للرياح، وتثبيت التربة، وهي تجذب العديد من الطيور الذي تعدّها مأوى لها، كطير الفلامنجو أو الفنتير، الذي يعشق هذه الأماكن، لما تحوي من مستنقعات

تناسب طبيعته، كما أن جذورها السميكة تعتمد على المد والجزر للتنفس، وهي مهمة لاستقرار الشواطئ، والحيلولة دون التعرية الناتجة عن الأمواج والعواصف، والحد من الأضرار التي يمكن أن تلحق بالمنطقة الساحلية».

يقول النوخذة يوسف أحمد العلي، من مدينة أبوظبي: «تعدّ شجرة القرم من الأشجار المعمرة، التي تنمو في الخيران والجزر كجنانة ومروح والضبعية والمستنقعات، وفي خور بغال الذي من ضمنه خور القرم في أبوظبي، والذي يطلق عليه (شاطئ القرم)، والحديريات، وتنبت هذه الشجرة بين اليابسة وماء البحر، وفي الإمارات الأخرى كأم القيوين. شجرة القرم تعدّ ملجأ لتكاثر أكثر من 35 نوعاً من الأسماك الصغيرة، مثل البدح والقابط، وكذلك الطيور كطير الكروان، الذي يعدّ القرم مأوى له، إذ تعشعش الطيور عليها لأنها تشعرها بالأمان والسلام، وتكون بذلك بعيدة عن أعين المتلصصين الطامعين ببيضها، وتتغذى هذه الطيور على الأسماك الصغيرة المتوافرة بكثرة تحتها، وتستخدم أوراقها كعلف للحيوانات، وأذكر أيام طفولتي هنا في أبوظبي، كان الباعة يبيعون حزماً من أوراق شجرة القرم، والحزمة الواحدة تباع بما يقدر بأربع آنات ونصف روبية، وكلما زاد حجم الحزمة ارتفع سعرها، والميزة التي تميز هذه الشجرة أنها تعتمد على الماء المالح، كما أن جذورها أشبه بفلتر يعمل على تحلية ماء البحر المالح للحصول على الماء العذب بعد تنقيته».

راشد الرميثي: «كانت أشجار القرم تنمو لتصل إلى أمتار عدة، نحو أربعة أمتار أو أقل بقليل، وكل متر يمثل عشر سنوات من عمرها وهكذا، وكنا نصطاد الأسماك من تحتها، خاصة عندما نمر من أمام هذه الأشجار ذات المنفعة الكبيرة لنا.

كان المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه، يهتم كثيراً بالنباتات الطبيعية،

ويسعى للمحافظة عليها، وتتصف هذه الأشجار بسماكة أوراقها، ولا توجد بها أشواك، وجذورها تمتد إلى قاع البحر، في الماضي كانت تستخدم في بناء البيوت والسفن لصلابتها ومقاومتها العالية، وكونها مصدراً رئيساً للغذاء والوقود والخشب، وهي تحتاج إلى الشمس بدرجة لا تزيد على 30 درجة مئوية، وإلى الرطوبة العالية، وإلى مساحة أفقية؛ لأنها تمتد بالعرض، كما كانت النساء يجلبن حطب القرم من عند قصر البحر في البطين في أبوظبي، وذلك بعد تجميعه وثم ربطه لاستخدامه في الطهي».

أثناء لقاء الوالدة موزة المزروعي، من أبوظبي،

قالت: «كنا نستخدم حطب شجرة القرم للتدفئة ووقود الطبخ وفي البناء، فقد كانت تدخل في الصناعات التقليدية التي يقتنيها معظم الناس قديماً، وبالتالي أصبحت مدخولاً لهم، وسمعت أن بعضهم كان يستخدم أوراقها في العلاجات الشعبية؛ لذلك لابد أن نحافظ على هذه الشجرة لأهميتها لنا، ولأجدادنا وللمستقبل».

وعند لقائنا السيد راشد المقبالي، ذكر أن: «شجرة القرم كانت تستخدم لصناعة الفحم، وكنت أذهب مع والدي الذي يقوم بتهيئة الحطب بعد قصه بالشاطور، حيث كان يقسمها لأجزاء: جزء يتم ربطه على شكل حزم بالحبال، لتباع بعد ذلك، وجزء منها كان يحرق، وذلك بعد دفنه في الرمل حتى يبرد، ثم يستخرج من الرمال، ويتم تنقيته وتعبئته في (يواني)، ويغطى الفحم بالحشائش للمحافظة عليه، ويحمل بعد ذلك على ظهور الإبل لبيعه، حيث كان يباع بروبية أو روبيتين، وذلك بناءً على حجم اليونية».

من الملاحظ أن شجرة القرم كانت الصديقة الوفية للإنسان في الماضي، وقفت معه وساندته في تيسير أمور حياته، والحفاظ على أنواع الحياة البرية والبحرية، كما أن هناك وعياً من قبل الصيادين بأهميتها ودورها، وهذا كان سبباً في الحفاظ عليها، ولا ننسى توجيهات المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، بقوله: «إننا نولي بيئتنا جل اهتمامنا؛ لأنها جزء عضوي من بلادنا وتاريخنا وتراثنا، لقد عاش آباؤنا وأجدادنا على هذه الأرض، وتعايشوا مع بيئتها في البر والبحر، وأدركوا بالفطرة وبالحس المرهف الحاجة للمحافظة عليها، وأن يأخذوا منها قدر حاجتهم فقط».

أشجار القرم.. حاضنة البيئة الطبيعية بالإمارات

تغطي أشجار القرم مساحة 75 كيلومتراً مربعاً من الدولة، وتضم الإمارات أحد الأنواع النادرة التي يطلق عليها القرم الرمادي أو أفيسينيا مارينا، فيما تؤوي إمارة أبوظبي 85% من أشجار القرم الموجودة في الدولة.

وتعدّ أشجار القرم كنزاً بيئياً، فهي ذات أهمية اقتصادية وبيولوجية كبيرة؛ لاحتضانها العديد من الكائنات البحرية، حيث تقوم بيئة الجذور بوظيفة محاضن طبيعية للثروة السمكية، إذ تعدّ ملجأ للأسماك الصغيرة، كما تعدّ الحاضن الطبيعي الوحيد للروبيان، وفي الوقت نفسه تقوم بحماية الشواطئ من التآكل، كما تستخدم مأوى لتعشيش الطيور.

وتصنف مستنقعات القرم بأنها من أغنى البيئات في البيئة البحرية، وتتميز أشجارها بمقاومتها الشديدة للملوحة، كما تتميز بنمو جذور هوائية من مجموعها الجذري المتشعب المغمور تحت سطح الماء، حيث ترتفع فوق السطح بارزة كأعمدة صغيرة؛ لتسهّل للجذر المغمور الحصول على الهواء الجوي، والقيام بالتنفس.

وتنمو أشجار القرم في مناطق المد والجزر، وعلى الرغم من أن زيادة مساحة غابات القرم في الإمارة، إلا أن هناك بعض المواقع التي تأثرت فيها أشجار القرم بشكل سلبي، نتيجة النشاطات البشرية مثل شق الطرقات وحفر القنوات.

ووفقاً للقائمة الحمراء للاتحاد الدولي لحماية الطبيعة، فقد تم تصنيف أشجار القرم ضمن الأنواع المهددة نتيجة فقدان مواطنها الطبيعية في العديد من مواقع وجودها، ويرجع ذلك في المقام الأول إلى عمليات اقتلاعها وتنمية المناطق الساحلية.

وكان المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، رحمه الله، قد أطلق في أواخر السبعينيات من القرن الماضي العديد من برامج التشجير واسعة النطاق لزراعة أشجار القرم في دولة الإمارات، أسهمت إلى حد كبير في اتساع رقعة غابات القرم على مدى العقود الماضية.

أشجار القرم كنوز صديقة للبيئة والإنسان

تتمتع دولة الإمارات بطبيعة متنوّعة، تضم العديد من الكائنات البرية والبحرية، وكذلك النباتات التي ترسم ملامح تفرد المنطقة وتميزها من ناحية البيئة، ومنها أشجار القرم، أو «المانجروف»، التي ارتبطت بالمنطقة عبر سنوات طويلة، حيث يتميز هذا النوع من الأشجار بالنمو في المياه المالحة، بالإضافة إلى قدرته على امتصاص الغازات الدفيئة، بما يسهم في خفض نسب تلوث الهواء، وخفض تأثير ظاهرة التغير المناخي، كما تسهم غابات القرم في المحافظة على البيئة، من خلال حماية الخط الساحلي من التآكل؛ بسبب الأمواج والتيارات المحيطة.

على مدى تاريخها؛ اهتمت دولة الإمارات بأشجار القرم لحماية سواحلها، كما كانت أخشابها مصدراً رئيساً للتدفئة والوقود، إلى جانب استخدامها في بناء المنازل والسفن، نظراً إلى صلابتها ومقاومتها العالية للتعفن والنمل الأبيض. ولم تقتصر أهمية أشجار القرم التي يراوح ارتفاعها بين ثلاثة وثمانية أمتار على هذا الأمر فقط، فهي تجذب أنواعاً مختلفة من الحيوانات؛ لتحتمي بها من حرارة الشمس في الصيف، كما تعيش الأسماك قريباً منها.

وفي إطار اهتمامه المبكر بالبيئة والاستدامة؛ حرص المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، على تشجيع زراعة أشجار القرم، حيث تغطي أشجار القرم مساحة كبيرة من أراضي الدولة، معظمها يمتد في غابات بالمناطق التي تقع بين خطي المد والجزر، لتسهم في الحفاظ على البيئة بحماية السواحل من عمليات التعرية الناجمة عن الأمواج والتيارات البحرية، وتلعب دوراً فعالاً في الحد من الانبعاثات الكربونية، ما يسهم في خفض آثار تغير المناخ. وتنمو أشجار القرم في درجات حرارة معتدلة لا تتخطى الـ35 درجة مئوية، وفي مياه منخفضة الملوحة، ما يجعل بقاءها في دولة الإمارات العربية المتحدة تحدياً كبيراً، حيث تزيد درجات الحرارة على 35 درجة مئوية، أثناء أشهر فصل الصيف. ولكن تم تكثيف برامج زراعة غابات القرم بتوجيهات من المغفور له الشيخ زايد بن سلطان، ما أسهم في زيادة هذه الأشجار بشكل مستدام، خلال العقود الماضية.

تحتضن أبوظبي نحو 110 كيلومترات مربعة من أشجار القرم الطبيعية والمزروعة، التي توفر موائل طبيعية، ومصادر تغذية وتكاثر آمنة للعديد من أنواع الأسماك والكائنات البحرية، مثل ثعابين البحر والسلاحف البحرية وأنواع تجارية مهمة من الروبيان وأسماك النيسر والنجرور (الفرش) والكوفر.

ويعد القرم الرمادي النوع الوحيد الذي ينمو على نطاق واسع في دولة الإمارات، كما نجحت هيئة البيئة بأبوظبي في إعادة استزراع نوع Rhizophora mucronata، وتمت زراعة عدد كبير من شتلات هذا النوع في مياه جزيرة رأس غناضة، بعد مرور 100 عام على انقراضها نتيجة الاستغلال.

ويعد متنزه القرم الوطني، الذي يقع على الطريق الشرقي الدائري، أقرب غابة قرم لمدينة أبوظبي، وقد افتتح المتنزه للجمهور في الأول من أكتوبر 2014. كما أن هناك مساحات واسعة لغابات القرم في دلما، وجزيرة صير بني ياس وبوطينة والسعديات وأبو الأبيض، والأريام وجزر الظبية في أبوظبي. ويحتضن متنزه القرم الوطني نحو 60 نوعاً من الطيور، مثل بلشون الصخور (طير الشاه) والبلشون الليلي وهازجة القصب الصياحة والفلامنجو الكبير والبلشون الأبيض الصغير والبلشون الرمادي وطيطوي الرمل والعقاب الأرقط بشكل موسمي، كما أنها تدعم كائنات أخرى مثل الأسماك والمحار والإسفنج، والروبيان، وشائكات الجلد والسلطعون.

هناك أيضاً محميات أخرى للقرم في الدولة، منها محمية أشجار القرم والحفية في مدينة كلباء، التي تم إعلانها محميةً طبيعيةً بموجب المرسوم الأميري رقم 27 لسنة 2012، الصادر عن صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم إمارة الشارقة، وتقع على مساحة 4997 كيلومتراً مربعاً، وتمتاز المحمية بأنها أرض رطبة ذات أهمية دولية؛ حيث تم اعتماد تسجيلها ضمن اتفاقية حماية الأراضي الرطبة (رامسار) سنة 2013، بسبب دعمها فصائل مهددة من الكائنات الحية، كما أنها تمتلك أهمية عالمية كبيئة مهمة لتكاثر العديد من أنواع الطيور النادرة، حيث تميزت بانفرادها كموقع تكاثر لطائر الرفراف المطوق العربي.

وتواصل الجهات المختصة في الدولة الاهتمام بغابات ومحميات القرم، لحمايتها والحفاظ على ما تضمه من أنواع مختلفة من الطيور والأسماك، وعمدت الجهات الحكومية إلى وقف جميع أنواع الصيد في المحميات، عبر فرض العديد من الإجراءات والقوانين الجديدة، وتعيين مراقبين على مدار اليوم لتطبيق هذه القوانين، من جانبها؛ قامت هيئة البيئة في أبوظبي بحث المطورين على إعادة تأهيل المناطق المتضررة، من خلال برامج واسعة النطاق لزراعة أشجار القرم، كما في جزيرة السعديات، حيث قامت الهيئة، بالتعاون مع شركة التطوير والاستثمار السياحي، بزراعة 750 ألف شتلة قرم في 25٪ من مساحة الجزيرة التي يتم تطويرها لتصبح مركزاً ثقافياً لإمارة أبوظبي.

محمية أشجار القرم في كلباء.. ملاذ لعشاق الطبيعة

تعدّ محمية أشجار القرم والحفية في مدينة كلباء من المناطق الغنية بتنوعها الحيوي، بسبب التنوع في الموائل الطبيعية في المنطقة من سواحل وجبال، إضافة إلى غابات القرم. وتتميز المحمية بكونها موطناً رئيساً لأنواع كثيرة من الكائنات الحية المهددة بالانقراض، مثل السلاحف الخضراء، وسلاحف منقار الصقر؛ إذ تعدّ بيئة ملائمة لعيشها، حيث تتغذى على الإسفنج والنباتات البحرية والطحالب والسرطانات البحرية. وتمتاز المحمية باحتوائها على العديد من النظم البيئية الخصبة والمتنوّعة، تتمثل في البيئات الساحلية لأشجار القرم والمستنقعات والسبخات الملحية والطينية، وتلعب دوراً رئيساً في توفير البيئة الملائمة لتكاثر أنواع عدة من الكائنات الحية.

وتعدّ المحمية من أهم المواقع الإيكولوجية في الدولة، والتنوع الإيكولوجي والبيولوجي فيها يجعلها معقدة بيئياً، وبالتالي فهي ذات أهمية عالية، وتعد ملاذاً لعشاق الطبيعة، وهي موطن لأقدم غابات القرم الطبيعية في المنطقة، وملاذ للعديد من الطيور النادرة، والأنواع البحرية الفريدة التي توجد في هذا الموقع.

كما أن عدد أشجار القرم التي تمت زراعتها في المحمية بلغ 200 ألف شجرة، وتستند زراعة القرم في المحمية إلى خبرة عريقة، وتجربة ثرية، تمتلكها إمارة الشارقة عموماً، وهي تمتد على مساحة 4997 كيلومتراً مربعاً، وتمتاز بأنها أرض رطبة ذات أهمية دولية، حيث تم اعتماد تسجيلها ضمن اتفاقية حماية الأراضي الرطبة (رامسار) سنة 2013، بسبب دعمها لفصائل مهددة من الكائنات الحية، كما أنها تحظى بأهمية عالمية كبيئة مهمة لتكاثر العديد من أنواع الطيور النادرة، حيث تميزت بانفرادها كموقع تكاثر لطائر الرفراف المطوق العربي.

أشجار القرم تعدّ بيئة مهمة لتكاثر أنواع من الطيور الساحلية المحلية، ومحطة أساسية للطيور المهاجرة في فصل الشتاء، وتنمو هذه الأشجار في تربة ذات معدلات أكسجين منخفضة، وتتحمل ملوحة مياه البحر، ولها دور كبير في المساعدة على استقرار الساحل، عن طريق الحد من عوامل التعرية التي تسببها العواصف والتيارات والأمواج، كما تقوم بامتصاص «الكربون الأزرق» وتخزينه بشكل مستمر، وبمعدلات أسرع من الغابات الاستوائية، وتعمل على تخزين الغازات المسبّبة للاحتباس الحراري.

أشجار القرم.. مصدر إلهام

عرض الاحتفال الرسمي باليوم الوطني الـ 49 للإمارات

تمثل أشجار القرم أو المانجروف قيمة متأصلة في دولة الإمارات العربية المتحدة، وتحظى بمكانة بارزة لدى مواطنيها، وهي بمثابة كنز بيئي.

وتكتسب أشجار القرم أهمية ثقافية واقتصادية وطبيعية كبيرة، لاحتضانها العديد من الكائنات البحرية، حيث تمتهن جذورها وظيفة محاضن طبيعية للثروة السمكية وملجأ للأسماك الصغيرة.

وتصنف مستنقعات القرم بأنها من أغنى البيئات في البيئة البحرية، وتتميز أشجارها بمقاومتها الشديدة للملوحة.

وحظيت هذه الثروة النباتية باهتمام وعناية فائقة في دولة الإمارات، انطلقت منذ عهد المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، مؤسس دولة الإمارات العربية المتحدة، حيث وضع في سبعينيات القرن الماضي، مجموعة من البرامج الضخمة لزراعة أشجار القرم، والتي أسهمت إلى حد كبير في اتساع رقعة غابات القرم على مدى العقود الماضية.

وتنمو أشجار القرم في مناطق المد والجزر، وهناك زيادة في مساحة غابات القرم في إمارة أبوظبي، حيث تولت هيئة البيئة - أبوظبي مهمة إعادة تأهيل، وصون وحماية غابات القرم في سبعة مواقع رئيسة منها: جزيرة السعديات وجزيرة الجبيل ومحمية المروح البحرية للمحيط الحيوي والمناطق المحمية في أبو السياييف ورأس غراب والكورنيش الشرقي ورأس غناضة.

وتعدّ المناطق الساحلية في أبوظبي غنية بغابات القرم، حيث يوجد نحو 70 كيلومتراً مربعاً من غابات القرم في جميع أنحاء الإمارة، كما يضم متنزه القرم الوطني أكثر من 19 كيلومتراً مربعاً من الغابات.

شكلت أشجار القرم (المانجروف) الجذابة التي تغطي مساحات شاسعة من شواطئ الإمارات، مصدراً أساسياً للإلهام الفني والبصري، خلال الاحتفالات الرسمية باليوم الوطني الـ49 لدولة الإمارات العربية المتحدة.

تصنيف الآلات الموسيقية الشعبية في الإمارات

يشتملُ الكثيرُ من فنون أداء العروض الشعبية في الإمارات على آلات موسيقية متنوعة، تُعَدّ أركاناً في أداء تلك الفنون، بحيث لا يمكنُ الاستغناءُ عنها، ومن باب تعريف الباحثين الإماراتيين وغيرهم من المهتمّين بالموروث الثقافي لدولة الإمارات في هذا السياق خاصة، وأعني الفنون الشعبية الموسيقية، رأيتُ أن أكتبَ هذه المقالة للتعريف بالآلات الموسيقية التقليدية المستخدمة في الفنون الشعبية في الإمارات، وتصنيفها علمياً، وتوضيح أسمائها وصفاتها، ووظيفة كل آلة منها، ويُمكنُ تصنيف الآلات الموسيقية الشعبية المستعملة في الإمارات حسب الفئات الأربع الآتية في علم الموسيقا:

علي العَبْدان
مدير إدارة التراث الفني
معهد الشارقة للتراث

أولاً- مُصَوِّتات هوائية (آلات النفخ) Aerophones، ونجدُ في هذه الفئة ما يلي:

1- الزَمر/ الصرناي في فن الليوَة الشعبيّ، وهو آلة نفخ مصنوعة من الخشب، أسطوانية الشكل، تنتهي بقمع مخروطيّ، وعليها ستة ثقوب، طولها يراوح بين قدم ونصف وقدمين، وتتكون هذه الآلة من أربعة أجزاء رئيسة متساوية في الطول.

2- الجربة (القِربة) في فن الهَبّان الشعبيّ، وهي جلد ماعز، تُربط أجزاؤهُ المفتوحة مثل الرجلين واليدين والرقبة؛ لمنع تسرّب الهواء، ثم يُوصَلُ بين آلة الزمر والقِربة، وآلة الزمر عبارة عن

قَصَبتين مزدوجتين مصنوعتين من الخشب، تُثبّتان جنباً إلى جنب، وفي الأعلى تُثبّت القطعة التي تُصدِرُ الصوت بالنفخ فيها، ويُمكنُ التحكم في الصوت بوساطة ستة ثقوب في مسارٍ مستقيم على سطح كل قصبة.

ثانياً- مُصَوّتات وَتريّة (آلات وترية، أو ذات وتر فأكثر) Chordophones، ونجدُ في هذه الفئة ما يلي:

1- الطنبَرَةُ (الطنبورة) في فن النوبان الشعبيّ، وهي آلةٌ وَتريّة لها صندوقٌ صوتيٌّ مُجَوَّف ومُغطى بالجلد، ويتكوّنُ هذا الصندوق من وعاء خشبي مستدير يُسمّى المنكَب، ومن عُوديْن جانبيْن مُتساويْن طولاً، ويُشكلان زاوية منفرجة فوق الصندوق، ويتصل بهما قضيب مستقيم يُعرَضُ عليهما أفقياً، حيث تُشدُّ عليه ستة أوتار مصنوعة من أمعاء الحيوانات بعد تجفيفها، وتنتهي على سطح الصندوق المُجَوَّف، وهذه الأوتار تعتلي جسراً خشبياً فوق الصندوق تُشد فيه، وتُضبط نغمياً بوساطة لفّات مشدودة أيضاً تُصنع من القماش المَجدول، وتكون في القضيب المَعروض على العُوديْن، والعزف يكون بوساطة رأس قرن ثور.

2- الربابة في فن الربابة الشعبيّ، هي آلة العزف البدوية المعروفة ذات الوتر الواحد، يُعزف عليها بقوس عليه وتر من ذيل الحصان يُسمى سبيب، ومن أسماء الربابة أيضاً: الصويتيّة، وكذلك الشنّة، وتتكون الربابة من قطعتيْن، الأولى قطعة خشب جيدة مغطاة بجلد، ولها قبضة طويلة، ووتر مشدود من الجلد إلى أعلى القبضة حيث

يُلفّ على مفتاح تسويته، والقطعة الثانية هي القوس الذي يُجَرّ به على وتر الربابة، وهو عبارة عن قطعة خشب مقوسة، بين طرفيها تُثبّت شعرة قوية من شعر رقبة الحصان أو ذيله.

ثالثاً- مُصَوّتات غشائيّة (آلات غشائية، أو ذات أغشية جلديّة ونحوها) Membranophones، ونجدُ في هذه الفئة ما يلي:

1- طبل الراس في فن العيّالةْ الشعبيّ، وهو طبلٌ كبير من الخشب الجيد، صوته عالٍ وقويّ، وهو الطبل الأساسيّ في أحد أهم الفنون الشعبية في الإمارات، وهو فن العيّالة، ويُكسى هذا الطبل

بقطعتين من جلد الثور، تؤخذ الأولى من جلد الظهر، وتوضع في الجهة المُصطلَح على تسميتها بجهة الراس من الطبل، وعليه يجب أن تكون هذه القطعة سميكة وقوية، حيث إنه يُضرب عليها بقطعة من جريد النخل، وأما القطعة الثانية فتؤخذ من جلد البطن، أو الخاصرة، وذلك لأنها أكثرُ نعومة، وأقل سماكة من الأولى، وتوضع في الجهة المُصطلَح على تسميتها بالشمالي، ويُعزف عليها عادةً باليد.

2- طبول التخاميرِ في فن العيّالة الشعبيّ، وهي طبول أصغر حجماً من طبل الراس، ولكن طريقة صناعتها هي الطريقة ذاتها في صناعة طبل الراس.

3- طبل الجَبْوَة (الكبْوَة - الكاف تُنطق بالكشكشة، أو كصوت ch)، وهو قطعة خشب مفتوحة من الجهتين، ويكون غالباً أقلّ سماكة وأخفّ من الطبول المذكورة سابقاً، كما أنه أقل وزناً منها، ويُرقم طبل الجبوة من جلد الماعز؛ لكي يعطي صوتاً رقيقاً، ويُستخدم هذا الطبل في فن الهبان بأنواعه، وفن الليوة، ويُعزفُ عليه باليد.

4- طبل الجاسر (الكاسر - الكاف تُنطق بالكشكشة، أو كصوت ch)، وطريقة صناعته كطريقة صناعة طبل الجبوة ذاتها، ويُستخدم هذا الطبل أيضاً في فن الهبان، وفن الليوة، وبعض الفنون الشعبية الأخرى، ويُعزف عليه باليد بشكلٍ عام، ولكن في بعض الفنون مثل فن الأمديما يُعزف عليه بقطعة خشبية صغيرة، مأخوذة من سعف النخيل.

5- طبل الكاسر، وهذا الطبل له شكل دائري، ويُكسى بجلد الغنم المأخوذ من جهة الظهر، ويُغطى من الجهتين ويضرب عليه بعصى الخيزران القوي، وتوضع له قطعة عصى طويلة مثبتة في وسطه، وذلك لاستخدامها كمقبض له يُمسك به، ويستخدم طبل الكاسر في فن عيالة العين.

6- طبل الرحماني، وهو قطعة خشب كبيرة ومستديرة، تُكسى من الجهتين بجلد الغنم المأخوذ من جهة الظهر، ويُستخدم في فن عيالة العين.

7- طبل الشيندو أو المْشيندو في فن الليوَة الشعبيّ، وهو طبل مصنوع من خشب عادي، أو من الألياف الصناعية (الفيبر)، كبير الحجم بشكل

أسطواني، يرتكز على ثلاث أرجل من الخشب، ونظراً لارتفاعه وكِبَر حجمه، فإن العزف عليه يقتضي من العازف أن يجلس على كرسي.

8- طبل السيندو أو المُسيندو في فن الأمديما الشعبيّ، هو عبارة عن طبل أسطوانيّ الشكل، طويل، ومُحيطهُ صغير، يُربط ببطن العازف بوساطة قطعة من القماش، حيث يكون مكان العزف بين يَدي العازف، وتكون مؤخرة الطبل بين قدَمَيه، ويُعزف على هذا الطبل باليدين.

9- الراس في فن النوبان الشعبيّ، وهو طبل على شكل أسطواني مستدير، ويُكسى من جهة واحدة، هي الجهة العليا، بجلد عجل صغير، يُغطى ويُخاط بالجلد نفسه، وأما الجهة السفلى فتُدفن في الرمل حال العزف، ليصدر منها صوتٌ مميزٌ في هذا الفن.

10- الوسط في فن النوبان الشعبيّ، وهو طبل أصغر من الراس سابق الذكر، ومثلهُ تماماً في الصناعة.

11- المجينبوّة في فن النوبان الشعبيّ، وهو طبل أصغر من الوسط سابق الذكر، ومثلهُ تماماً في الصناعة.

12- السّماع في فن المالد، وهو اسم الطار في الإمارات، وجمعهُ سّماعات، ويُستخدم في فن المالد، كما يُستخدم في فن العيّالة.

13- الطار العادي، وهو طار حجمه أكبر من حجم السّماع، وهو المستخدم في أغلب الفنون الشعبية، مثل عيّالة العين، وغيرها من الفنون الشعبية.

رابعاً- مُصَوّتات بذاتها (الآلاتُ المُصَوّتة بمادّتها الذاتية) Idiophones، ونجدُ في هذه الفئة ما يلي:

1- الطُوَس في فن العيّالة، الطُوَس هي صنوج أو صفائح صغيرة من النحاس، مُدَوَّرَة على شكل أقراص، يُستخدم زوجٌ منها لإصدار رنين كرنين الجرس أثناء مصاحبة بقية الآلات في إيقاع فن العيّالة في الإمارات، وذلك من أجل زخرفة الإيقاع، وإكسابهِ بهجةً وفخامةً بذلك الرنين، ويكونُ في وسط كل واحدة منها خيط من القطن، يُساعدُ العازف على الإمساكِ بها، وضربِها على الأخرى لإصدار صوت الرنين.

2- البِيب أو الباتو في فن الليوَة الشعبيّ، وهو عبارة عن علبة أو صفيحة معدنية متوسطة الحجم تُستخدم في فن الليوة، حيث يضعها العازف أمامه، وهو جالس على الأرض، ويضرب عليها بعصوَين من جريد النخل تُسَمّيان (المداقّ)، فتصدر صوتاً حاداً وجميلاً، وذلك لمصاحبةِ الإيقاع في هذا الفن بهذا الصوت المميز.

3- المَنيور (المَنجور) في فن النوبان الشعبيّ، وهو عبارة عن حزام عريض من الجلد أو القماش، يُعلقُ عليه كثيرٌ من أظلاف الماعز عبْرَ خياطتها عليه بإبرة وخيط من القطن، ويُلبَسُ المنيور حولَ الخصر، ويكون في أطرافهِ أربعة خيوط، تُربط جيداً لتثبيت المنيور على خصر العازف الذي يهزّهُ لإصدار الصوت على إيقاع فن النوبان.

فن اليولة

فن اليولة فن رقص ميداني، وليس بفن غنائي مثلما يعتقد بعض الناس، فهي من الفنون الشعبية الإماراتية الأصل، والتي يستخدم فيها الراقصون السلاح أو السيوف،

علي العشر
خبير تراث فني
معهد الشارقة للتراث

إن هذا الفن فيه بطولة وحيوية تجذبان الأجيال، وأيضاً هو فن يمثل لوناً لحياة البدو الأصيلة، وفن اليولة هو الرقصة بالإمارات، حيث تجد فيها الحماسة والقوة والشجاعة، وتجد فيها أيضاً التنافس بين القائمين بها، من صغار وكبار، وذلك من حيث بعض المهرجانات التي تقام في الدولة، وتشرف عليها شخصيات كبيرة، وتوضع لها جوائز قيّمة.

ولو رجعنا إلى الماضي، فسوف نلاحظ أن هذا الفن موجود، ويؤديه أمهر الرجال وأقواهم، والمعروفون، ومنهم كبار الشخصيات، ويستخدمون أثناء مشاركتهم في هذا الفن أسلحة حقيقية، أبرزها سلاح الكند وسلاح الفلس وسلاح المشرخ وسلاح أم صمعة، أما الآن فإن هذا الفن قد اقتصر على البنادق الخشبية الصغيرة، والسيوف وعصي الخيزران.

ويتميز في هذا الفن حالياً صغار السن، من حيث

خفتهم وسهولة أدائهم في تدوير السلاح بأياديهم بسهولة، وقذف السلاح للأعلى، وتلقفه بطريقة فنية، ما يجعلهم يبهرون الناظر إليهم، ويسمى من يؤدي فن اليولة بـ«اليويل».

أما الفنون الشعبية التي يؤدى فيها فن اليولة، فهي فن العيالة، وفن عيالة العين، وفن الحربية، وفنون جميع العرضات، وفن الرزفة، وفن رزيف البدو.

ومن القصائد التي تغنى في فن اليولة:

يا أهل اليولة فوق شلولة

فخر لاجيالة تشهد افعولة

شيخنا محمد كالفجر عمد

عقلة النير محد يطوله

ويحتضن دانة حسن كالدانة

ما لها مضاهي دانة الدولة

بحرها ثافي وبرها وافي

شعبها كله يتّبع قولة

دار الأكرامي مجدها سامي

كل من ياها صابها ذهولة

يفتخر فيها في مبانيها

كيف سواها غير معقولة

صيفها بارد نهرها وارد

من رواسيها يسقى سهولة

دار بوراشد حفلها حاشد

في مغانيها صولة وجولة

هذه الصفحة تتناول حياة الناس في الإمارات قديماً... أعمالهم وطرق معيشتهم، وعاداتهم ومعتقداتهم وحكاياتهم، وما يواجهونه من مواقف وطرائف في حياتهم اليومية، من خلال ما رووه شفاهة، أو في المقابلات التي أجريت معهم، ونشرت في الدوريات والكتب.

الحياة الاقتصادية في المقيظ

علي أحمد المغني
باحث في التراث الثقافي – الإمارات

هذا الموضوع محاولة متواضعة لتوثيق رحلة المقيظ، للفترة التي سبقت دخول وسائل النقل الحديثة، التي حلّت محل الوسائل التقليدية المستخدمة في النقل، مثل السفن الخشبية والإبل، وهي الفترة التي تمتد حتى نهاية الستينيات من القرن العشرين. ويسلط الضوء على الاستعدادات التي تتم قبل الرحلة، ووصف رحلة الذهاب والعودة من المقيظ، والحياة الاجتماعية لمجتمعات هذا الموسم، والعلاقة فيما بينها، وسنتناول المهن الموسمية التي تزدهر في موسم القيظ.

يعدّ القيظ موسماً اقتصادياً ينتظره أهل الإمارات، وتعيش المناطق خلال هذه الفترة منظومة اقتصادية متكاملة، تنشط على إثرها الحركة التجارية في الأسواق، حيث يزداد طلب الحضار على شراء المواد الغذائية، مثل الأرز والطحين والقهوة والسكر والمالح والمواشي وغيرها، كما يقومون بشراء الأمتعة والملابس والأدوات التي سيستخدمونها في رحلة المقيظ، والتي ستستغرق من ثلاثة إلى أربعة أشهر، بالإضافة إلى شرائهم الهدايا؛ ليقدموها إلى عملائهم من أهالي المقائظ، مثل الملابس وأدوات الزينة، وبعض المواد الغذائية، وتنشط الحياة الاقتصادية بصفة عامة، فتخلق موسماً تجارياً ينتظره الجميع؛ لأنه يؤمّن الرزق لفئات عديدة من المجتمع.

كذلك يسهم موسم الصيف في انتعاش عدد كبير من المهن المرتبطة به، والتي من أهمها مهنة «الكريان» الذين يتولون أمر نقل الأهالي من الساحل إلى المصايف، كذلك تزدهر مهنة أصحاب السفن الخشبية، مثل العبرات، التي تتولى نقل الحضار إلى البراحات القريبة من المدن، وكذلك السفن الكبيرة، التي تقوم برحلات منتظمة بين الموانئ لنقل الحضار إلى الأماكن القريبة من مقائظهم على الساحل، وبعضها يقوم بنقل الحضار وأمتعتهم عبر مضيق هرمز إلى مقايظ الساحل الشرقي وساحل الباطنة في عمان.

ويزداد الطلب على المهن الحرفية والزراعية في الواحات الزراعية والمناطق الجبلية، ما يخلق

مجالاً أوسع للعمل، مثل «البيادير» الذين يقومون بالإشراف على المزارع ورعاية النخيل والأشجار، وسقيها والاعتناء بها، ويقوم بعض البيادير بعرض خدماتهم على الحضار، مثل تسلق أشجار النخيل لخرف الرطب؛ أي قطفها، بالإضافة إلى قيامهم بقص الحشائش والأعشاب لأغنامهم، ويقوم بعضهم بحفر «الطويان» (جمع طوي)، وهي آبار المياه العذبة، على نفقة الحضار الخاصة، ومازال بعضها موجوداً حتى الآن.

كما تنشط مهنة «الأساتيد» الذين يتولون بناء أماكن السكن الخاصة بالحضار، مثل العرشان، الذين يمتلكون خبرة ودراية كبيرة فيها، ويتقاضون أجوراً بسيطة عنها.

ويقوم بعض الصيادين في المناطق القريبة من الساحل بالتجول في أماكن تجمع الحضار، وبين العرشان، لبيع حصيلتهم من صيد الأسماك الطازجة، كذلك تزدهر مهنة «المطاوعة» الذين يقومون بتعليم الأطفال أصول الدين والقراءة والكتابة وحفظ القرآن، مقابل أجرة معينة.

ويستفيد «الودعي» من هذا الموسم، وهو شخص يؤتمن على بيوت الحضار، عندما يهجرونها مؤقتاً للذهاب إلى المقيظ، كما تطلق التسمية على من يقوم بالإشراف على منازل الحضار في المقيظ حتى الموسم القادم، ليقوم بمراقبة عدد من البيوت ورعاية الأغنام، والإشراف على نخيلهم وسقايتها، وتكون أجرته حسب عدد رؤوس

الأغنام، وتتنوع بين خمس روبيات أو جراب تمر.

وتبرز صناعات معيّنة في موسم الصيف، مثل صناعة الفخار، التي يتضاعف الطلب على منتجاتها، مثل اليحلة والحب، وهي أوان تستخدم في حفظ الماء وتبريده؛ لأن علاقة الأهالي بها تصبح دائمة في الصيف؛ لما توفره من برودة للماء عندما يوضع فيها، ويحرص الأهالي على شرائها قبل سفرهم للمقيظ.

وتزدهر الصناعات السعفية المرتبطة بالنخيل، مثل السرود والمكب والحصر واليراب والمهفة وغيرها من منتجات النخلة، بالإضافة إلى صناعة التمور التي تشتهر في هذا الموسم، والصناعات النسوية، مثل البراقع والتلي وخياطة الملابس وغيرها. والمنتجات الحيوانية لها أهمية خاصة في المنظومة الاقتصادية في موسم الصيف، حيث تقوم النساء بالاعتماد على حليب البقر في صنع اللبن الحامض والسمن البلدي واليقط والچامي، وتشتهر صناعة المالح في هذه الفترة، والعومة والكسيف وغيرها من المنتجات البحرية.

ويعدّ وجود الحضار خلال هذه الفترة مفيداً من الناحية الاقتصادية لهذه المناطق، ويشكل مصدر دخل مهم لهم، حيث يقوم بعض الأهالي بافتتاح محال صغيرة قرب وجود إقامة الحضار؛ لبيع المواد الغذائية والاستهلاكية، كذلك يقوم بعض الحضار بافتتاح هذه المحال بالتعاون مع بعض الأهالي، وبعضهم يقوم بافتتاح مقاه شعبية؛ ليتسنى للرجال الترفيه عن أنفسهم في الليل.

رحلة العودة

فرقتنا يالقيظ يا بوخلالة
ولميتنا يا شتا بطيب المنازل

يقضي الحضار في المقائظ فترة تراوح بين ثلاثة وأربعة أشهر تقريباً، تمتد حتى أواخر فصل الصيف، وقت دخول الأصفري (الخريف)، وهي الفترة التي يعلن فيها انتهاء موسم الغوص الكبير (القفال)، وعودة البحارة والغاصة لديارهم.

لتبدأ بعدها رحلة عودة الحضار من المقيظ إلى الساحل. حيث يقوم الحضار بتجهيز أمتعتهم انتظاراً لموعد وصول الكريان الذين تم الاتفاق معهم مسبقاً على موعد العودة، وذلك قبل عودة البحارة من رحلة الغوص بأسبوعين تقريباً، ويقوم المزارعون بتقديم الهدايا إلى الحضار، وتسمى عندهم «الشفية»، مثل قلات التمر، وكذلك يقومون بإهدائهم الليمون المجفف والهمبا الذي تصنع منه المخللات، والخل والسمن البلدي، بالإضافة إلى حملهم للمنتجات المصنوعة من سعف النخيل مثل الحصر والمهفات، ويأخذون معهم «الكيسة»، ويحضر الحضار معهم «الصوغة»، وهي الهدايا التي سيقدمونها لأهلهم ومعارفهم في الساحل.

وتضطر بعض العائلات إلى العودة بوساطة السفن الشراعية بدلاً من قوافل الجمال، وذلك لكثرة المواد والمؤن والهدايا التي يحملونها معهم من المقيظ، ويفضل بعضهم القيام بشحن المواد والمؤن عن طريق البحر بوساطة السفن، على أن يعودوا إلى مدنهم عن طريق البر، ليجدوا مؤنهم ومشترياتهم قد وصلت.

وتعدّ رحلة العودة صعبة ومؤثرة في نفوس الحضار وأهالي المقايظ، كونهم عاشوا أياماً جميلة وممتعة، تعرفوا فيها إلى أصدقاء جدد، تقابلوا معهم في المقيظ، وتشكلت في ذاكرتهم الكثير من الحكايات والمغامرات التي عاشوها خلال هذه الفترة.

الأهوية الشعرية

محمد عبدالله نور الدين
كاتب وناقد - الإمارات

هناك ظواهر عامة نلاحظها في شعر معظم الشعراء التقليديين، حتى أصبحت من تقاليد الشعر الشعبي، وهذه الظواهر تجعل القصائد تتشابه مع بعضها، وكأن قائلها شاعر واحد، ولكن مع قليل من التعمّق تلاحظ أن الفروقات البسيطة بين هذه العبارات تعطي خصوصية للقصيدة، قد تصل إلى تميّز شاعرها عند بعضهم، وقد لا تصل في معظم الأحيان.

نلاحظ حدة كبيرة من التشابه في القصائد وبالذات حينما تكون على بحور شعرية قصيرة، حيث يغطي اسم أحد الأهوية وصفة هبوبه على مساحة كبيرة من البيت الشعري، وفي أنموذجنا الشعري جويهر الصايغ في هذا المقال، نجد أن أغلب قصائده كتبت على بحر الونة، وهو بحر شعري قصير جداً، لنر كيف استطاع الشاعر أن يضفي خصوصية لشعره في قصائد بدأ مطلعها بالأهوية. وسنبدأ حسب أقدم القصائد التي وردت من الباحثين، فهنا يذكر فيه الكوس بصيغة الغائب وبأسلوب خبري معتاد:

زاد الخادم مهانه كوسٍ لافي رفيع
ونّ وذكر حيّانه لي كانوا له جميع[1]

ومثلوثة بعد ذلك فيه هبوب «الشمال» بأسلوب خبري معتاد:

صلّب شرتا الشمالي م العالي وابطت ما دوّقت[2]

ولكن في المثلوثة يخاطب الشاعر ريح «الكوس» في صورة تشخيصية كأن الريح تستوعب ما يقوله الشاعر:

يا كوس يا روّادي ما تولّ على قلبٍ عليل[3]

وقد تكون هذه المثلوثة دليلاً على أن جويهر قام باستخدام استعارة تشخيصية للريح، كما فعل سابقاً مع «الكندورة» في حوار ديالوجي:

بنشدج يا الكندوره عن من خاط ودرز
قالت حسين الصورة لي في الرايح برز
م العام أنا محوره وميوّده في المز[4]

وقد اختلف في نسبة هذه الأبيات:

يا كوس يا لوّابه الليل ما بتيّه
كم لفتي من عدابه والصبح ياك هنيه[5]

وعلى الرغم من أن القصيدة التالية أقرب إلى ابن عتيج على افتراض أن القصائد التي يخاطب فيها ابن عتيج الرياح أصبحت بصمة خاصة له فمنها مطلع قصيدة يقول فيها:

يا الكوس المستطلي حسرك سوّى كتام[6]

ومطلع قصيدة أخرى:

يا غربي الهبايب خذك الله وش فيك ما هبيت
أرقت جفن ذايب عز الله ما بالنوم اهتنيت
بت اتغطّي السوايب وتطلّه لي ما يبا له صيت[7]

وهي قصيدة بأكملها حوار يخاطب فيه ريح

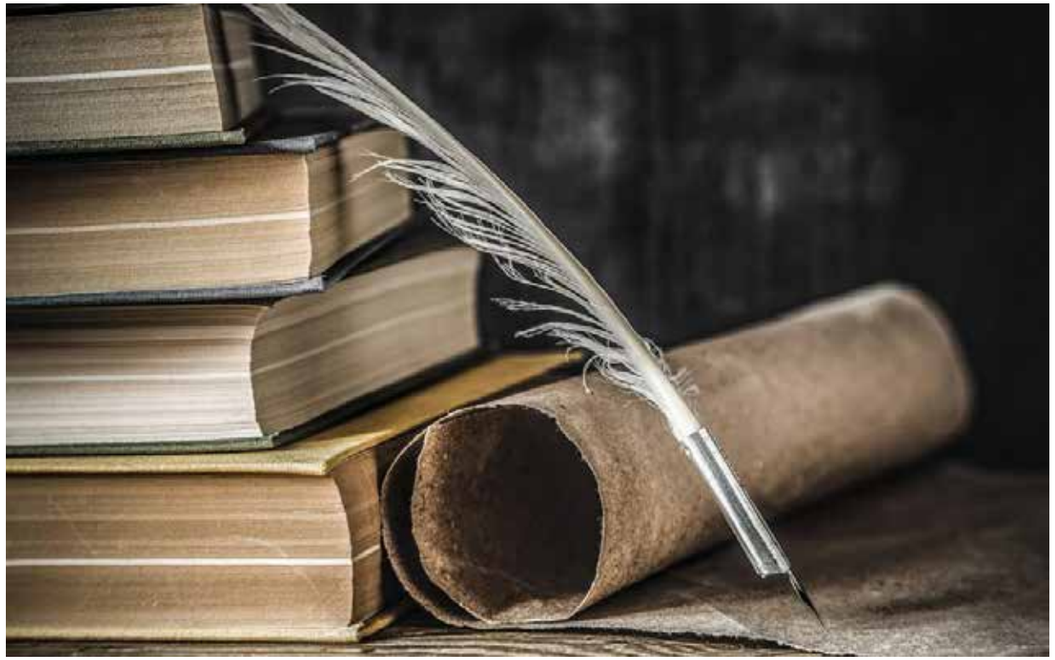

«الغربي»، وقصيدة أخرى بأكملها يتحدث عن ريح «الكوس»:

كوسٍ هب بنزاره يعوي هواه بنوح
شل السحب وامطاره والبرق فيه[8]

وقصيدة أخرى في ثلاثة أبيات، وكلها خطاب مباشر للكوس:

يا كوس يا روادي سوايبك ابردن
فيك السحب تنقادي وتساوي بالمزن
وأحييت قلبٍ عادي هيس الصواب وون[9]

وبيتان يشكلان قصيدة يخاطب فيها ريح «العريض»:

هيضت قلبٍ قاسي يا عريض النقا
روس هْدبه نكّاسي عسرٍ ما ينرقا[01]

لتجعل إثبات نسب قصيدة «يا كوس يا لوّابه الليل ما بتييه» إلى ابن عتيج أقرب لولا البيت الأخير الذي أورده حماد الخاطري، وهو:

أعرفْه ويش أسبابه ولو الموت ما بطريّه[11]

وهو شبيه جداً بنهايات جويهر التي يكتم فيها سر حبه، ومثال ذلك:

سدَّه معايه غابي لين انوضع في لحود[21]

وعليه فإن القصائد التي وردت بعد ذلك، وفيها الخطاب المباشر مع الرياح باستعارات تشخيصية، تكون نسبتها إلى جويهر مسوّغة، ومنها مثلوثة:

يا كوس وان هبّيتي من شرقا ييتي بْعرق مجموع[31]

وأيضاً:

يا المطلعي يا الهلّي جنّب على السّحلان
صرف الزّمان مْبلّي يرفق لذي ولهان[41]

وافتراض أن جويهر بدأ باستخدام الاستعارات التشخيصية مع الرياح قبل اللاحقين من الشعراء، افتراض لا يحتاج إلى أدلة كثيرة، فيكفي أنه استخدم الأسلوب هذا كما أسلفنا مع الجماد غير المتحرك؛ أي «الكندورة»، وفتح معها حواراً ديالوجياً، ومن الأولى أن يكون قد فعل هذا قبل ذلك مع الرياح، كونها من عناصر الشعر الأساسية التي تحرّك قريحة الشعراء، وتذكر في مطالعهم كثيراً. وأيضاً لسنا نفترض أن الاستعارات التشخيصية كانت عند جويهر قبل الآخرين؛ لأننا نجد ذلك عند معاصريه من الشعراء، كالشيخ خليفة بن شخبوط، في أمثلة كثيرة نختار منها اختصاراً:

يا كوس يا دعابي صلّب هواك وناح
عندك بندب جوابي لحلوين الصباح[51]

وقصيدة:

يا الكوس يا السراية ييتي وأنا ما ابغيك
ما بانت لك حدايه بالأمس يوم أرجيك[61]

وأما القصيدة التالية، التي نسبها الكندي مصبح الكندي إلى ابن عتيج حسب النص التالي:

رقيت عدباً نايف فيه اللي هب صفوق
يتمارن بالخطايف غربي ومر شروق
قطع الضمير بهايف غت وغتم بسروق
أتهريع لولايف شروى البكر الفروق[71]

ونسبت بعد ذلك عند حماد الخاطري إلى جويهر في 10 أبيات، منها:

أرقبت عدبٍ نايف فيه الياهي صفوق
وإن يا نْعشي ومهايف وغيض النكبا الحروق
يتمارن بالخطايف غربي ومرّ شْروق

نلاحظ أنها تنتهي بنهايات شبيهة بما استخدمه جويهر، وهي كتمان سر المحبوب إلى الموت:

لين اضكم بالصقايف وياتي الأمر من فوق[81]

وليس فقط هذا البيت ما يقرب نسبة القصيدة إلى جويهر، فهناك بيت آخر يذكر فيها «ابن حمد»، وهو إشارة إلى مخدومه (محمد بن حمد الشامسي)، ولكن هذا لا يعني أن هذه النهايات تختص بجويهر، إذ وجد ذلك أيضاً في شعر الشيخ خليفة بن شخبوط آل نهيان، والشاعران من عصر واحد، فهذا البيت مثلاً أتى في نهاية القصيدة:

وسط اللحود غزاير كان استوي مبخوت[91]

وعلى الرغم أن الشاعر هنا يتحدّث عن حاله بعد إصابته بمرض، لكن في المثال التالي نجده يؤكد على إخفاء سر المحبوب إلى الموت، ولكن البيت لم يكن البيت الوحيد فهناك:

ما أرمس بك خلايف لو يستوي لفراق
لين تحط الصقايف عشرٍ علي أطباق[02]

خلاصة القول إن استخدام الرياح أصبح جزءاً من المقدمات الشعرية، ومن الصعب أن يكون هذا الملمح العام من ملامح شعر جويهر الخاصة، ولكن في الوقت نفسه فإن التفاصيل الدقيقة الأخرى قد تفتح أمامنا آفاقاً أوسع لمعرفة تطوّر مهارة الشعراء عبر أجيالهم المتعاقبة؛ أي أن تمايز العبارات الشعرية المتشابهة بين الشعراء جدير بالتقصي والدراسة.

1. تراثنا من الشعر الشعبي، حمد خليفة بوشهاب، ج2، ص79.
2. الكندي مصبح الكندي: ديوان الونة، ص155.
3. الكندي مصبح الكندي: ديوان الونة، ص 143. استخدم الباحث رسم إملائي مختلف وكتب «قلباً» و«وصلاً» بدلاً من «قلبٍ» و«وصلٍ»، وتم إجراء تغيير الرسم الإملائي في هذا الكتاب.
4. حمد خليفة بوشهاب: جريدة البيان، ص11، 15 أغسطس 1981.
5. ديوان بن عتيج: ص157.
6. تراثنا من الشعر الشعبي، حمد خليفة بوشهاب، ج2، ص28.
7. ديوان بن عتيج، ص105.
8. ديوان بن عتيج، ص127.
9. ديوان بن عتيج: ص 145.
10. ديوان بن عتيج، ص155.
11. أعذب الألفاظ من ذاكرة الحفاظ، حماد الخاطري، ج1، ص257.
12. سدّه: سرّه. غابي: مخفي. مصدر القصيدة: حماد الخاطري: أعذب الألفاظ من ذاكرة الحفاظ، ج1، ص201.
13. أعذب الألفاظ من ذاكرة الحفاظ، حماد الخاطري، ج1، ص291.
14. أعذب الألفاظ من ذاكرة الحفاظ، حماد الخاطري، ج1، ص205.
15. أعذب الألفاظ من ذاكرة الحفاظ، حماد الخاطري، ج1، ص145.
16. أعذب الألفاظ من ذاكرة الحفاظ، حماد الخاطري، ج1، ص152.
17. ديوان الونة، الكندي مصبح الكندي، ص 84.
18. اضكم بالصقايف: أوضع في لحدي، وأضكم قد يكون في الأصل وأُكظم بمعنى أُحبس، والصقايف هو ما يسقف به شق القبر قبل أن يهال التراب.
19. حماد الخاطري: أعذب الألفاظ من ذاكرة الحفاظ، ج1، ص158.
20. سلطان العميمي، شعراء آل نهيان، ص29.

التراث غير المادي.. خريطة ثقافة الشعوب

عندما يتم الحديث عن التراث الشعبي، يكون الحديث عن شقّين لا ثالث لهما، هما التراث الشعبي المادي والتراث الشعبي غير المادي، وعبر هذين الشقّين يختزن التراث الشعبي في كل منطقة ذاكرة الأمس البعيد والقريب، يختزن موروث الأجداد والآباء، يختزن عالماً مملوءاً بالحركة، مملوءاً بالمعجم اللغوي، مملوءاً بالممارسات والطقوس.

فهد علي المعمري
باحث – الإمارات

ومن خلال هذه المعطيات يمثل التراث الثقافي غير المادي دوراً مهماً وفاعلاً في الوقوف عن قرب للاطلاع على ثقافة الأمم والشعوب، فمن خلاله ـ التراث غير المادي ـ يمكن معرفة ثقافة شعب من الشعوب، وأمة من الأمم، وحضارة من الحضارات، ومدى التأثير والتأثر بالثقافات الأخرى؛ لذا يُعُدّ

التراث غير المادي الملهم الحقيقي لرصد وفهم ودراسة تصرفات أي شعب، فالموروث الثقافي هو لغة قابلة للتواصل والاتصال، واختزال الخبرات والتجارب المتراكمة.

والجدير بالذكر، ومما يسترعي الانتباه، ويلفت الأنظار، هو مصطلح التراث الشعبي، هل بقي كما هو؟ أم عصفت به رياح المصطلحات الحديثة، وناله من التغيير ما نال أقرانه من المصطلحات الأخرى؟ وفي واقع الحال لقد تغير مصطلح «التراث الثقافي» في مضمونه تغيراً كبيراً في العقود الأخيرة، ويعود السبب إلى جهات عدة ومتغيرات عدة، منها وعلى رأس القائمة، هي تلك التعريفات التي وضعتها «اليونسكو»، ولا يقتصر التراث الثقافي على المعالم التاريخية ومجموعات القطع الفنية والأثرية، وإنما يشمل أيضاً التقاليد أو أشكال التعبير الحيّة الموروثة من أجدادنا وآبائنا، والتي ستنتقل لاحقاً وبنا إلى أحفادنا، مثل التقاليد الشفهية، وفنون الأداء، والممارسات الاجتماعية، والطقوس، والمناسبات الاحتفالية، والمعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون، أو المعارف والمهارات المرتبطة بإنتاج الصناعات الحرفية التقليدية.

وبهذه المنظومة يشكّل التراث الثقافي غير المادي، عاملاً أساسياً مهماً في الحفاظ على التنوّع الثقافي في مواجهة العولمة المتزايدة. ففهم التراث الثقافي

غير المادي للجماعات المختلفة، يساعد على الحوار بين الثقافات، ويشجع على الاحترام المتبادل، كما يعمل على سبر أغوار الآخرين، والتعايش معهم.

وإذا ما أدلفنا الحديث عن دولة الإمارات العربية المتحدة، والحديث عن التراث الشعبي غير المادي، فإننا نرى أن الإمارات تمتلك مخزوناً غنياً من التراث الثقافي غير المادي في مجالات الأدب الشفهي والفولكلور والتقاليد والمعتقدات الشعبية والحرف والأعمال اليدوية التقليدية والأغاني والرقصات، بالإضافة إلى الألعاب والرياضات الشعبية، والفنون الاستعراضية، التي تعدّ جزءاً من الحياة اليومية في المجتمع الإماراتي، إلى جانب الحِرف والصناعات التقليدية، والزيّ الإماراتي، والأكلات الشعبية الإماراتية، والحياة البحرية.

- الأقسام الخمسة للتراث غير المادي حسب تصنيف «اليونسكو»

قسمت «اليونسكو» التراث غير المادي (التراث المعنوي) إلى خمسة أقسام رئيسة، هي:

1. التراث الشفهي بما يتضمنه من لغة وشعر وأمثال وألغاز وحكايات، وغيرها من أنواع الأدب الشفاهي.
2. الفنون الأدائية، والموسيقى، والزفّات الشعبية والرقص وغيرها.
3. العادات والتقاليد والاحتفالات ومهارات الطعام وتقاليد الأواني.
4. المعارف الشعبية والمعتقدات مثل الطب الشعبي، الإيمان بالشحر والشعوذة.
5. المهارات المرتبطة بالحِرف والصناعات اليدوية.

وأثمرت الجهود الحثيثة لدولة الإمارات العربية المتحدة في مجال حفظ التراث غير المادي، إدراج عدد من عناصر التراث الإنساني على قوائم «اليونسكو» ضمن قائمتها التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي، ومن هذه العناصر:

1. التغرودة. 2. الصقارة. 3. المجالس. 4. العيّالة. 5. الرزفة. 6. القهوة العربية. 7. السدو.

وأصبحت هذه العناصر جزءاً من التراث الإنساني العالمي، نتيجة تعاون دولي وخليجي مشترك، لتمثل نموذجاً لدور التراث في بناء الجسور الحضارية والإنسانية بين الشعوب، ودليلاً على أصالة التراث الخليجي ووحدته الجغرافية والتاريخية والإنسانية. ويسهم تسجيل هذه العناصر في تشجيع التنوّع الثقافي والحوار الحضاري، من خلال إتاحة المجال لمعرفة أصولها التراثية والاجتماعية والإنسانية، وما تتمتع به من أصالة وخصوصية.

واستطاعت دولة الإمارات العربية المتحدة أن تحجز لها مقعداً بين الكبار في حفظ وصون التراث غير المادي، من خلال استضافة العديد من المؤتمرات والندوات والملتقيات المعنية بهذا الملف التراثي وتنظيمها، ومن بينها استضافة اجتماعات «اليونسكو» التي أقيمت في أبوظبي، وهذه التجمعات تعمل على إتاحة الفرصة للاطلاع على تجارب الدول المختلفة في صون التراث غير المادي لديها، والاستعانة بخبرات عالمية وعربية، للاستفادة من تجاربهم للحفاظ على التراث، ومنهم خبراء من اليابان، كوريا، فيتنام، مالي، فنزويلا، الصين، وهي تعد من أفضل تجارب الحفاظ على التراث غير المادي (التراث المعنوي) على مستوى العالم.

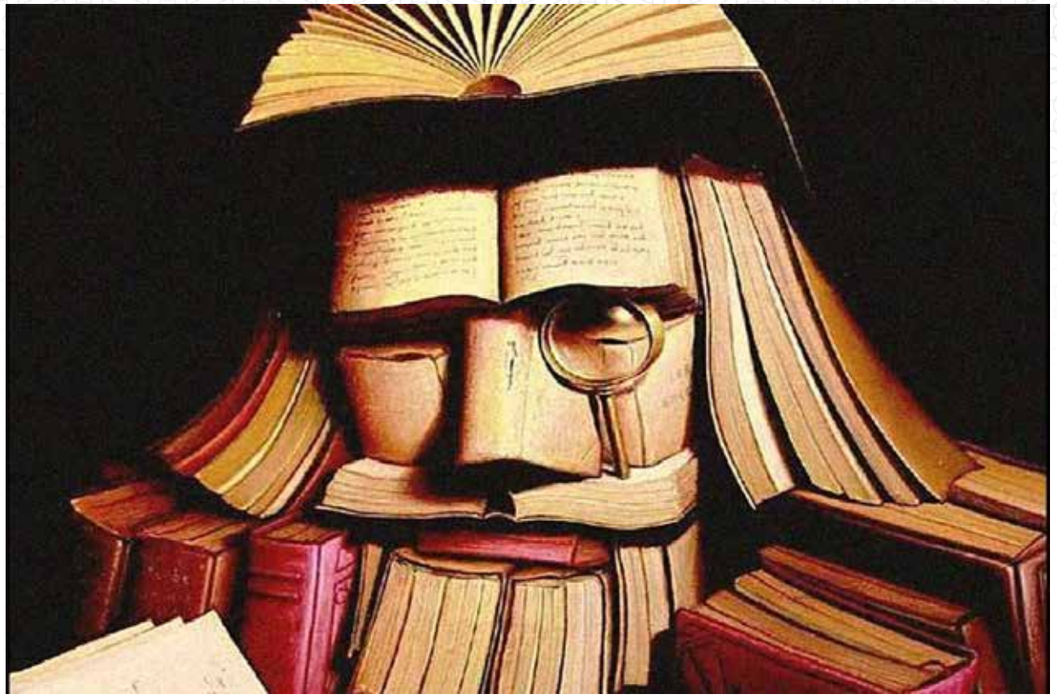

دور المثقّف في المجتمع

تتنوّع إسهامات الفرد في المجتمع مهما كانت ضئيلة وصغيرة، بحيث إن دوره في بناء الوطن لا يقلّ أهمية عن الآخرين، وسيكون له أثر فعّال في خدمة المجتمع والآخرين، وكل فرد له إسهامه مهما كان تخصصه وعمله، ومن ثم نجد أن المثقف عليه مسؤولية كبيرة في توعية المجتمع، وخدمة الأفراد، عبر نشر الأفكار البناءة

أ. طلال سعد الرميضي
كاتب – الكويت

والحديث عن الإشكالات التي تعترض سبيل تطور المجتمعات، وطرح الحلول لها، وله أدوار مهمة في خدمة المجتمع، تتمثل في توعية المجتمع وتوجيهه نحو طريق الصواب، حسبما يراه مناسباً للصالح العام، ويجب على المثقف، سواء كان كاتباً أو شاعراً أو مسرحياً، أن يضع مصلحة المجتمع، ومراعاة الله،

عزّ وجلّ، نصب عينيه فيما يكتبه قلمه في قضايا المجتمع، وهو بطبيعة الحال دور مهم ومؤثر يفترض عليه القيام به، والمثقف هو الشاعر والراوي والقاص والباحث والمؤرخ والمسرحي والفنان وخلافه؛ أي صاحب فكر للنهوض بالمجتمع.

والثقافة كما يعرفها بعضهم هي مجموعة المعارف الإنسانية التي يكتسبها الإنسان، وتؤثّر في تفكيره، وفي فهمه للأشياء، وفي سلوكه وأخلاقه، وعلاقته بالله وبالمجتمع والحياة.. مثل معارف العقيدة والتأريخ والفقه والآداب والقانون والسياسة والأخلاق وعلم النفس وعلم الاقتصاد والاجتماع... إلخ، ولاشك في أن الإنسان المثقف هو الإنسان الّذي يكتسب نصيباً من هذه العلوم والمعارف وغيرها من المعارف الإنسانية.

وفي المعاجم اللغوية نجد أن (المثقف والثقافة) مفردتان مشتقتان من مادة (ثقف)، التي تدل – حسبما جاء في معاجم اللغة العربية وقواميسها – على معانٍ عدَّة، منها: الحذق، وسرعة الفهم، والفطنة، والذكاء، وسرعة التعلُّم، وتسوية المعوجِّ من الأشياء، والظفَر بالشيء؛ قال تعالى: (فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ) (الأنفال: 57).

وعرَّف مجمّع اللغة العربية (الثقافة) بأنها: «كلّ ما فيه استنارةٌ للذهن، وتهذيبٌ للذوق، وتنميةٌ لِمَلَكة النقد والحُكْم لدى الفرد والمجتمع»، ويتَّضح هنا ارتباط هذا التعريف بالدلالات اللغوية السابقة.

والمثقف في المفهوم الاصطلاحي: ناقدٌ اجتماعيٌّ، «همُّه أن يحدِّد، ويحلِّل، ويعمل من خلال ذلك على الإسهام في تجاوز العوائق التي تقف أمام بلوغ نظام اجتماعي أفضل، نظام أكثر إنسانية، وأكثر عقلانية»، كما أنه الممثِّل لقوَّةٍ محرِّكة اجتماعيّاً، «يمتلك من خلالها القدرةَ على تطوير المجتمع، من خلال تطوير أفكار هذا المجتمع ومفاهيمه الضرورية».

والمثقف يملك قدراً من الثقافة التي تؤهله لقدرٍ من النظرة الشمولية، وقدرٍ من الالتزام الفكري

والسياسي تجاه مجتمعه، وهو مبدع كل يوم، يستطيع بهذا الإبداع الثقافي أن يفصل بين تهذيبات القول وتجليات الفكر، بين الثقافة وعدم الثقافة، بين التحضر والتطور.

ولابد أن تتوافر في الكاتب المثقف مواصفات عدة يتحلى بها، ومن أبرزها:

- أن يكون وطنياً، بحيث تكون كتاباته ذات طابع وطني بحت، ينشد من خلالها الصالح العام، دون أن تكون له مصالح ضيّقة أياً كانت، سواء حزبية أو دينية أو اقتصادية أو إعلامية وخلافه.
- أن يراعي الله، عزّ وجلّ، فيما تخطه يمناه، ويتذكر دائماً الدور المنوط به من قبل المجتمع، والمسؤولية الجسيمة التي على عاتقه، والتي يجب أن يقوم بها على أكمل وجه.
- أن يكون ملماً بالموضوع الذي يطرحه، بحيث يكون ضمن اختصاصاته دون أن تكون الكتابة به نوعاً من العبث، فكما قيل «من تحدث في غير فنه أتى بالعجائب».
- أن يكون طرحه هادياً وغير استفزازي؛ حتى لا يكون هدفه إثارة الزعزعة في المجتمعات، بعد تسليطه الضوء على بعض القضايا.
- ونجد أيضاً عنصر الأمانة في النقل والطرح والتحليل والتوجيه والإرشاد، بحيث لا يترك مجالاً في التأويل الخطأ والتفسير غير الواقعي، حتى لا يتمكن ضعاف العقول من خلق مشكلات، واستغلال مواده المنشورة كسبب في ذلك، ولنا في التاريخ نماذج عدة قد نتفق مع هذه الكتابات أو نختلف، ومنها ما تم الاستشهاد به من نصوص

تراثية قديمة في «الربيع العربي» المزعوم.

ونجد منذ فجر التاريخ أن المثقف له دور مميز في إحداث التغيرات في المجتمعات والشعوب، ومنذ فجر التاريخ لاتزال أفكار أفلاطون وأرسطو سائدة ومنتشرة والتي أسهمت في تنمية الدول.

ونجد في التاريخ الكويتي العديد من الرموز الثقافية التي قدمت الكثير من الجهود في خدمة المجتمع الكويتي، وواجهت العديد من الصعاب في سبيل تطوير الفكر، ومن هؤلاء الشيخ يوسف بن عيسى القناعي (ولد 1879–1973م)، وهو رجل دين كويتي مشهور، كان له دور توجيهي مميز في تأسيس التعليم النظامي المتمثل في المدرسة المباركية عام 1911م، حيث باشر في تنفيذ مشروع أول مدرسة نظامية في تاريخ الكويت، حباً بالعلم وخدمة لوطنه، ومن دون مقابل ينشده من وراء هذا الفعل، سوى مصلحة المجتمع وأفراده.

وكذلك الحال نذكر الشيخ مساعد بن عبدالله العازمي، وهو من رجال العلم والثقافة البارزين في تاريخ الكويت، وهو حاصل على الشهادة العالمية من الجامع الأزهر عام 1880م، وتعلّم التطبيب في مصر ضد مرض الجدري القاتل، وقد أسهم في مكافحة هذا الوباء الخطر في الكويت ودبي والشارقة ومسقط واليمن والبحرين والأحساء وغيرها من المناطق العربية، ونذكر أنه قام أيضاً بتعليم أبناء وطنه العلوم الشرعية، وقام بالمطالبة بتعليم البنات في مطلع القرن العشرين الميلادي، وتوضيح ضرورة تعلمهن الكتابة والقراءة وبعض علوم دينهنّ في الكتاتيب، وقد عانى الشيخ مساعد أشد المعاناة من بعض العقول المتحجرة التي وقفت ضد آرائه التنويرية، وأدت إلى هجرته من الكويت، ليستقر في قرية عسكر بالبحرين.

وكذلك ما قام به الشيخ عبدالعزيز بن أحمد الرشيد، في محاربة التطرف والتعصب الديني في المجتمع الكويتي، حتى صدرت فتوى دينية من بعض رجال الدين المتشددين بهدر دمه، بعد نقاشات حول بعض الأمور الدينية في مطلع القرن العشرين، ومنها ضرورة تعليم الأولاد علوم الجغرافيا واللغات الأجنبية كالإنجليزية.

هذه نماذج مضيئة من رجالات الثقافة، ودورهم الرائد في خدمة المجتمع الكويتي بالماضي، وقد استمرت أدوار المثقفين على مر التاريخ في خدمة المجتمع، وعانى بعضهم أشد المعاناة، سواء من المعارضين لآرائهم من الساسة أو العامة.

ختاماً- لابد أن نقول إن الموهبة الحقيقية للمثقف الذي يحب وطنه ويغار عليه، والذي تقع على عاتقه المسؤولية الوطنية، هي أن يدرك أن الطريق وعر؛ لأنه إذا تخلى المثقف عن هذا الدور المؤثر في خدمة المجتمع، فلاشك في أن الرويبضة سيقود الناس، ويتحكم في شؤونها، مصداقاً لقول النبي محمد، عليه الصلاة والسلام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَبْلَ السَّاعَةِ سِنُونَ خَدَّاعَةٌ، يُصَدَّقُ فِيهِنَّ الكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهِنَّ الصَّادِقُ، وَيَخُونُ فِيهِنَّ الأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الخَائِنُ، وَيَنْطِقُ فِيهِنَّ الرُّوَيْبِضَةُ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: المَرْءُ التَّافِهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ العَامَّةِ».

السجادة في حجر الذاكرة لفوزية السالم

د. فهد حسين
أكاديمي وناقد – البحرين

هكذا كانت رواية «حجر على حجر»، للروائية الكويتية فوزية شويش السالم، بوابة واسعة تدخل من خلالها الكاتبة إلى عوالم متناقضة ومتحاربة، وعبر سلالات الإنسان العربي، تسعى إلى كشف مآزق هذا الإنسان، ولترسم الحب قلوباً، والشغف ميلاداً، والاستشراف علامة ديناميكية في تكوينها؛ لذا راحت تطرح سؤالها تجاه المكان والذاكرة، وأيهما باق في الآخر فـ«الجسد مازال في المكان، ولكن ذاكرة المكان فارقته – ص9»، حيث الألم بات مرشداً للطريق الذي تداخل بين مصيره، ومسيرة الأجيال، تداخل بين الأزمات التي تبث رائحة العطارين والتوابل والأعشاب من نوافذ الأسواق وأبواب الدكاكين؛ لتقول: هل يحاسب المرء بدينه أو بسلوكه؟! المرء الذي جاء إلى الدنيا مرتدياً جلباباً ليدل من خلاله على اعتناقه ديناً معيناً.. إنه الدين اليهودي الذي كان منتشراً آنذاك بين الفئات الغنية في (الأندلس) إسبانيا الآن في ضوء الأديان الأخرى، مثل الدينين المسيحي والإسلامي، وهنا

حاولت الكاتبة السالم أن تطرح مسألة العلاقة الروحية والدينية بالإنسان من جهة، وعلاقة كل هذا بالسلطات السياسية من جهة أخرى، مؤكدة السؤال الذي يتمظهر في حياتنا اليومية، وحياتنا الثقافية، وعلاقاتنا الحضارية، وهو «هل يمكن لنا محاسبة الإنسان على دينه؟!».

ففي الوقت الذي تقول الرواية إن راشيل، الفتاة اليهودية، تريد أن تهرب بجسدها وفكرها المحاصرين ومشاعرها ودينها الممنوع من المكان الذي أصيب بالتفتت ومرض الغطرسة وعلو الطغاة المسيحيين آنذاك، وبخاصة بعدما فرض القشتاليون على الناس هناك في الأندلس تبديل دينهم، واعتناق المسيحية قسراً، وإلا عوقبوا، وهذا ما هو مخالف لتشريع الكون، وسماحة الأديان السماوية التي تهذب أخلاق البشر. الأمر الذي فرض على راشيل الهرب من بلدها حاملة إيمانها بدينها أولاً، ومؤمنة بحرية الاختيار، والمعتقد ثانياً، ورافضة السطوة ثالثاً، وتاركة المكان والمال والأهل، على أمل اللقاء بهم في مكان آخر، إنه اليمن، لكن الحياة لا تسير كما يريدها المرء، فراشيل أغرقت نفسها في السؤال تجاه مشاعر القلب وتأملات العقل، سؤال الحيرة والدهشة من محاولات غرس بذور الأمل من طرف، وقمعه أو اجتثاثه من طرف آخر، فتقول: «وافترقنا، وهو يؤكد لقاءنا القريب مثلما يؤكد قلبي لقاءنا المستحيل – ص18» .

ولكن كيف يهرب اليهودي من مكانه، تاركاً أمواله في الوقت الذي كان يعرف عن اليهود حبهم للمال والتجارة والكسب، ولا يستطيعون التفريط في هذه المداخل التي تربعهم على العروش، وتمسكهم السلطان؟! فالكاتبة تسرد أخبار أقارب راشيل على لسانها، ومدى تعلقهم بالمال، وشغفهم به حتى الجنون، فـ«عمي رافائيل فارق روحه عندما فارق ماله، وخالتي الياصابات كان حزنها على ذهبها أكبر من حزنها على اغتصاب ابنتها أدل – ص 18»، ومهما كان المال، وقيمته المادية والمعنوية، والمنزلة الرفيعة عند الإنسان اليهودي وغير اليهودي، وأن الاقتصاد عصب الحياة والتطوّر، والتمدين والبناء، والارتقاء بمستوى الإنسان والحياة لا يكون إلا بالمال، لكن اليهودي لا يساوم على دينه أو التخلي عنه، حتى لو اضطر إلى الرحيل من مكان إلى مكان مشرداً ومطلوباً، ولكن ليس كل ما يقوم به اليهود من الرحيل هو هرباً، بل في أحيان كثيرة هو سيطرة ونفوذ وسلب حقوق الآخرين، وهو ما حدث ويحدث في فلسطين منذ العام 1948 حتى يومنا هذا، كما يمكننا طرح سؤال يتمحور حول الموضوع ذاته، ففي تشكيل الكاتبة لبنية الهرب، والإصرار عليه، أي هل ما يعتقده اليهود بأحقيتهم في أرض فلسطين حق يدافعون عنه إلى هذه اللحظة التاريخية؟ وهل دخول المسلمين أرض الأندلس أثارت جملة من الإشكالات في التحول الديني؟ أم هي رؤية ثقافية ومعرفية

تريد الكاتبة أن تضعها في ثقافتنا العربية لنتحاور ونتقاطع حول علاقة الإنسان بالدين والمجتمع والمال وتكوينه النفسي، وغير ذلك من القضايا التي قد تكون سبباً في بعض تحوّلاتنا الفكرية أو الروحية أو الاجتماعية؟!

نعتقد أن الكاتبة لم ترم إلى التأمل في وضعية الإنسان اليهودي، بقدر ما كانت تريد الوصول إلى ارتباط الإنسان بالبعد الروحي، هذا البعد الذي بات مفككاً ومتهالكاً، بل مناقشة تلك القفزات التي لا يريد الإنسان التحاور معهم وفيها إلا من مدخل التخلص منها، وليس التعمق في فلسفة العلاقة الروحية بين الإنسان والآخر الذي يسأل عنه باستمرار، كما يمكنه أن يضحي بكل ما يملك من أجل الحفاظ على هذا البعد، لهذا كانت الهجرة أو الهرب إلى الشرق العربي، هي هرب من مكان السيطرة والسطوة وسلطة النهب والقتال ومحاربة الأديان، تلك الأديان التي لا تتوافق أبداً ودين السلطة السياسية في ذلك الوقت، بل الدخول في معرفة تصفية الآخر الذي لا يقبل التحوّل، بحسب رغبات سياسية مغطاة بالدين، وهي رغبات ملوك القشتاليين.

وتعطي الكاتبة دلالة على الرجوع بالإنسان إلى مناقشة علاقته بالبعد الروحي سرداً ووصفاً لتلك العلاقة الروحية التي تكشف عن قوتها والتأصيل بين الإنسان روحياً، إذ بينت الكاتبة علاقة الإنسان في الهند بالدين الهندوسي الوضعي، وطبيعة تجذر هذه العلاقة في روح التضحية بين الزوجين، فالهند تعيش عوالم غريبة، وتقاطعات كثيرة عرقية وقومية ودينية وطائفية وغيرها، هذه البلاد التي لا تعرف نفسك فيها إلا وأنت بين الماء والسماء، والنظر إلى تلك الأمواج المخيفة كخوفك على كل عضو في جسدك وأنت في غاباتها، وبين حيواناتها المتوحشة المندسة بين الأشجار المتشابكة، البلاد التي أيقنت أنها لن تصمد في مواجهة تحديات الكون والطبيعة إلا بالثبات والاطمئنان والإحساس بالصلابة في أي مكان أو أي زمان.

الروائية الكويتية فوزية السالم

هكذا تسافر راشيل عبر البحر المتلاطم، والمحيط المخيف، تنزل اليابسة راغبة في استرخاء جميل واستجمام مريح، لكن عنفوان البرتغاليين المسيطرين على منافذ البحار والموانئ، ومقدرات الإنسان في شرق الكرة الأرضية، جعلها تعيش محنة أخرى، فبعدما تخلصت من محنة وشقاء القشتاليين، تدخل في محنة أخرى، هي: الهرب من قبضة البرتغاليين إلى غابات الهند، ويوتوبيا الإنسان والأرض، وطقوس الاختراق لعالم الذكورة والأنوثة الذي لا تقف عند تقديرهما، إذ رأت الجسد النسوي وهو يحترق بالنار لتلتقي بزوجها المتوفى، وليترجم الاعتقاد القائل بتجدد الحب بين المبارك بين الاثنين من الآلهة هناك، بل غرس هذه الإيمان والاعتقاد الابتسامة التي كانت تعلو وجه هذه المرأة المنقادة إلى النار، وهنا، أليس الإيمان الروحاني وتمسكها بدينها هو الذي أسهم في اشتعال النار؟ أليس هذا الإصرار على الموت لملاقاة الزوج هو ذاته إصرار راشيل أو أي يهودي في المحافظة على دينه؟!

ولكن علينا أن نتأمل الفرق بين محافظة المرء على دينه والدفاع عنه، ومحاربة الآخرين لاقتلاعهم من أمكنتهم ومنازلهم وتاريخهم، بحجة المحافظة على الدين، كما يحدث في فلسطين.

وفي الوقت الذي كانت الأحداث تدور حول راشيل ورحلتها إلى اليمن، وقفت الكاتبة عند سردية أخرى، تتعلق بـ«موضي» المرأة الكويتية وابنتها، هذه العلاقة التي شيدت على دعامتين أساسيتين، هما: السعادة والطمأنينة، وهما في رحلة السفر، ويطول الحديث لبعض جوانب حياة موضي التي تشير إلى أن السعادة لا تدوم، فقد تغيرت طبيعة العيش والحياة بعد شهر العسل، واستمرار الحياة بعض الوقت؛ لتكون نورا البنت الوحيدة لهما، لتبدأ في عدم استقرار، وتضخمت بعنصر الخيانة التي هدمت هذا البيت، ولكن إقحام عائلة موضي في أحداث الرواية لم يأت مباغتاً، وبخاصة من له علاقة مباشرة بكتابات الروائية السابقة، فهي تسعى دوماً إلى إيجاد دهشة وتأمل وتفكر تفرضه على المتلقي؛ ليربط الخيوط المتناثرة بين الشخصيات من جهة، والعملية السردية من جهة أخرى، وبين ربط التمدد الزمني للأحداث من جهة ثالثة، ومعرفة تلك الأصوات التي تقوم بعملية السرد المتداخل من جهة رابعة.

ومع طرح العديد من القضايا المهمة كالعلاقة بين الأديان ومعتنقيها، وطبيعة الإنسان حينما يتربع على عرش المسؤولية، وعلاقة المكان بالدين والتاريخ، فالكاتبة عالجت قضية من القضايا الكبرى التي تؤرق الثقافة العربية منذ العهود الأولى، وآلية التعامل فيها ولها، ألا وهي الثقافة الجنسية، ومدى انسجامها في ضوء العلاقة الثنائية بين الرجل والمرأة، هذه العلاقة التي تمظهرت من خلال ثقافة كليهما التي استقياها من منبع التراث العربي، وما ينبغي علينا نحن العرب مناقشتها، وتحليل بناها التراثية، والأخلاقية، والاجتماعية، وكما ناقشته في أعمالها السابقة، فهي تطرحه هنا وكأنه مشروع قائم لديها، ولابد من طرحه عبر الفن والأدب والثقافة، وبخاصة أن الذكورية العربية طاغية في ثقافتنا، في وقت لايزال الخجل مكبلاً الأنوثة، مما يفرض أحياناً حضور هذا الخجل في شكل ضعف يتمثله الجسد الأنثوي تجاه الرجولة والفحولة وذكورية الرجل، وهنا تقول الراوية: «أكرهه أكثر.. وأحبه أكثر.. لكنه ينتظر أوان الانقضاض.. وجسدي الملعون يخونني. – ص 158»، ولماذا الضعف عند المرأة؟ هل بسبب التكوين الاجتماعي؟ هل بسبب التكوين النفسي تجاه رؤية الآخر؟ هل أن صناعة الثقافة في الأساس لم تكن صناعة مشتركة بين الجنسين؛ أي بين الرجل والمرأة؟ وإنما هي صنيعة الذكورة التي رغبت في تسخير كل ما يمكن أن يكون ممتعاً له في دائرة محيطه.

إن المرأة التي حظيت بمستوى متقدم من العلم والثقافة والمعرفة، لم تكن كما هي عليه في الماضي مسلوبة الإرادة والقرار، فهي اليوم أكثر تحسباً وتأملاً حين تصيغ العلاقة الثنائية مع الرجل، وهذا ما أكدته الرواية بقولها: «الخيانة ليست بطبعي.. والعلاقة بيني وبين الرجل ليست بسهولة خلع ملابسي على سرير عابر.. هي علاقة الروح والعاطفة والجسد.. وهذه لا تقطف بسهولة – ص177»، وهذا ما كان موجوداً ولايزال في الثقافة الهندية الهندوسية التي عبّرت عنها الكاتبة بالعلاقة الحميمة بين الرجل الذي فارق الحياة، ورغبة الزوجة

الجارفة نحو حرق جسدها أملاً في تجديد الحب واللقاء بعد هذا الفناء، ولكن لولا وجود نسيج ثقافي ومعتقد ديني وروحي وتشويع لما حدث ذلك، وفي مقابل هذه العلاقات العاطفية المستندة إلى تشريع ديني وضعي، نجد الأمر مختلفاً في ثقافتنا العربية، فليس نمو العلاقة بين الرجل والمرأة محصورة على رؤية كليهما إلى الآخر، بل يصل الأمر في بعض الأحيان إلى عذاب الذات، وحلول الغيرة والشك، وعدم الثقة، وفي الوقت الذي لا ننادي بما يحدث هناك في تشريعات الديانة الوضعية التي شرعت بحرق الزوجة في حال موت زوجها، وإنما نعمل على اجتثاث بعض معتقداتنا التي ورثناها من ممارسات عربية أو غير عربية قديمة؛ لذلك نحن بحاجة إلى تقليب تربة طباعنا، وتسميد عقولنا، وري أفئدتنا بماء صاف، وبناء ذواتنا على أسس التلاقي والتحاور والاحترام، وإبعاد الرؤية الإيروتيكية عن المرأة من قبل الرجل.

وإذا كانت رحلة البحر حملت العذاب وفراق الأهل وسلطة البرتغاليين في المحيط الهندي، وما قاموا به من نهب وسلب وقتل، فماذا حملت رحلة البحر ووصول راشيل إلى اليمن، وإصرارها على تحقيق حلمها الذي جاءت من أجله؛ أي الوصول إلى صنعاء لا يتم إلا بوسيلة الانتقال البدائية، وهي البغال؟ فضلاً عن تعب الرحلة، ومشاقها، والمفاجآت التي قد تنبري؛ لذلك نجد رحلة راشيل بدأت في سياقين، هما: السياق المكاني، والسياق الديني، حيث تعايشت مع المكان الذي تحط فيه، وتتأقلم مع طبيعة الحياة، سواء حينما كانت في الأندلس أم عبر رحلتها حتى وصلت إلى اليمن مروراً بالهند، كما عاشت بين أناس يعتنقون أديانا مختلفة، فهي يهودية عاشت في بلد مسيحي (الأندلس)، ورحلت إلى منطقة هندوسية (الهند)، ثم منطقة إسلامية (اليمن)، وعبر هذه الرحة استطاعت أن تبني علاقة محبة وصداقة إنسانية مع هندوسية، هي (باداما)، فأكلت من أكلهم وشربت من شرابهم، ونسجت هذه الصداقة مع يهرحب الرجل اليمني المسلم، وكأن الراوية تخبرنا وتؤكد لنا أن هناك فرقاً كبيراً بين ديانة وعنصرية، بين دين يؤكد على المحبة، ودين يتخذ غطاءً لمآرب الغطرسة والسيطرة والاستعمار والاستيطان، فكل الأديان السماوية والوضعية تؤكد تعاليمها خالصة نحو التعايش والسلم، حيث التعايش مع الأديان السماوية والوضعية ما عاد صعباً ومتصدعاً، بل إنه في قرار المرء حين يعلو بفكره، وينمو بثقافته، وينغمس في حوار حضاري مع الآخر، وخصوصاً في الأمكنة التي تحترم الذات والآخر إنساناً ودينا ومعتقداً، وثقافةً وحضارةً.

إن راشيل عرفت مدى الصداقة والعلاقة بين الناس، فقد باتت أمانة في عهدة المسلم يهرحب الذي كان يراقبها، وهما على ظهر السفينة، والذي صبر على مشاق الرحلة، ومعاناة السفر بحراً وبراً؛ لكي يسلمها إلى أحد أقربائها اليهود في اليمن، إذ كانت الرحلة في اليمن تتجه من مكان إلى آخر، ومن بلدة إلى قرية، إلى مدينة، إلى سهل، أو جبل حتى

الوصول إلى صنعاء المحطة الأخيرة، وكما تشتت أقوام وأجناس في مناطق وأمكنة أخرى من العالم بحكم ظروف معينة، تشتت اليهود في اليمن أيضاً، مما فرض على خال أبيها الهجرة إلى كوجيتو في كوكبان، ولكن شهامة الإنسان عامة، والمسلم بصفة خاصة، وفق ما تفرضه تشريعات الدين الإسلامي، لم يتوان يهرحب عن مواصلة الرحلة مع راشيل حتى النهاية التي لم تذكرها الكاتبة، بل «مكتوب على جبينك الخطر – ص 244».

وفي الجانب الآخر تكشف الكاتبة أن اليمن بوصفه مكاناً للديانة اليهودية، وراشيل كانت تبحث عن أصولها وأنسابها، فإن الحنين الذي أخذ موضي إلى ديار اليمن، وإصرارها على السفر، ليس بسبب تلك السجادة التي منعت من دخول مطار لندن، وإنما للوقوف على علاقة موضي وراشيل ويهرحب الذين يجمعهم الإيمان بوحدانية الخالق سبحانه وتعالى، وبأصل البشر المنطلقين من منطقة، هي اليمن، تلك الأصول التي تفتت وتناثرت عبر الزمان والمكان، بل أصيبت بالشروخ والتصدع في أثناء غزو نظام صدام حسين للعراق في الثاني من أغسطس عام 1990 للكويت، وما نتج عن ذلك من خلافات عربية عربية، وكما سعت راشيل للبحث عن أصولها في اليمن، فعلت موضي الشيء نفسه، حيث واصلت عملية البحث عن سلسلة نسلها وأصلها العرقي، وجذورها التي تراها متأصلة في اليمن، وهنا تقول: «خرجت اليوم في وقت مبكر لأكسب مزيداً من الوقت يسارع في عملية البحث في الأرشيف – ص275»، وبما أن الكاتبة تتحدث وكأنها هي السارد، وهي صوت موضي السردي، فتجعل هنا المتلقي يعتقد أنها هي السارد الفعلي؛ لما تتمتع به من معرفة كاملة عن حركات السارد وتوجهاته، وكأنها الشخصية الرئيسة، وهي موضي أيضاً، إذ كان الراوي العليم هو المسيطر طوال رحلة راشيل وأحداث موضي.

ويبقى أن نقول إن الرواية حجر على حجر من الأعمال الخليجية المتميزة التي عالجت موضوعاً يعدّ من الموضوعات الشائكة في الثقافة العربية، وكأن الرواية تريد إيصال رسالة للقارئ العربي، فحواها: أهمية التقاء الأديان والطوائف والأعراق في خندق واحد هو خندق الإنسانية، خندق المعرفة عن حقيقة المرء في هذا العالم، عن العلاقة بين اليهودية التي حولها بعض أهلها إلى مفاهيم صهيونية، واليهودية بوصفها ديناً سماوياً، وعلاقة هذا الدين بالأديان الأخرى، وإلى تلك الجذور التي لابد من الوقوف عندها، وهي جذور الإنسان العربي، فليس بعيداً أن يكون للمكان والدين من أهمية قصوى في نسج العلاقات الإنسانية، فإذا كانت اليمن مكان انتشار الدين اليهودي، فهذا يعني أن إنسان هذه المنطقة عليه أن يفكر في كيفية التعامل مع الآخر من معتنقي الديانات الأخرى؛ أي إلغاء الفوارق، مؤكدة أن الحضارة اليمنية حضارة ممزوجة بين الحضارة اليهودية وتراثها وبين الحضارة الإسلامية وتراثها، وهذا يحيلنا إلى أن هذه الحضارات لا تكون ملكاً لدين بقدر ما هي ملك للإنسان.

تحت ظلال الغاف

أدوار حياتية وإشعاع معرفي

لعبت أشجار الغاف أدواراً سياسية واجتماعية وثقافية مهمة في حياة أهل الإمارات، فمثّلت رمزاً مهماً في حياة العامة والخاصة، وظلت أيقونة حاضرة في التعامل اليومي مع مفردات الحياة، ودائمة البقاء في ذاكرة أبناء الإمارات؛ فهي التي كانت تمثل مجلس الحاكم وكبار القوم، بالإضافة إلى ما كانت تحتضنه من أفراح الأهالي، وتظلله من أحزانهم.

خالد صالح ملكاوي
باحث وإعلامي – الأردن

تحت أشجار الغاف مارس أجدادنا سلوكهم المجتمعي، إذ كانت ظلال الغاف الوارفة مركزاً للتجمع والتداول في أمور الحياة، وممارسة العديد من أوجه الحياة الاقتصادية والإبداع والتعلّم ونشر المعرفة.

شكّلت شجرة الغاف في الإمارات، ومازالت، حالة ثقافية خاصة، وثمَّة من أطلق مسمى «ثقافة الأشجار» في دولة الإمارات، وتَجَسَّد ذلك جليّاً مع أشجار الغاف التي تمثل قيمة ثقافية كبيرة، فكان هذا المسمى حاضراً في محاور الحياة جميعها، بدءاً من القصائد والروايات والأغاني، وصولاً إلى الطعام والزينة والبيئة، إلى جانب رمزيتها التي تمثل نبض المكان وذاكرة الزمان، لاسيما عندما تفتح ذراعيها دون تفرقة لعابري الصحارى والقاطنين بين كثبانها.

فقد كانت أشجار الغاف تمثل نوادي ثقافية عندما كانت طبقة المثقفين والموهوبين لا تجد أماكن للتجمع أفضل من التجمع تحت ظلالها، فتجد بين الحضور الأدباء والشعراء، ورواة التاريخ والأمثال والحكايات الشعبية والأمجاد التي لا ينضب معينها، ما جعل الغاف مضرباً للأمثال، ومنبعاً للروايات والحكايات التراثية، وغدت مساهماً بارزاً في نشر الوعي الثقافي، إذ تتحول إلى منابر ثقافية عندما تحتضن تحت أغصانها المجالس البدوية التي كثيراً ما تكون مكان إشعاع للشعر.

وتحت ظلال شجرة الغاف التي يمكن لها أن تعمّر لمائة عام، ثمَّة حكايات محفوظة، ومشاهد محفورة، وصور كثيرة يصعب امّحاؤها، إذ كانت تشهد تجمعات كبيرة من الأهالي تحتها في مواسم القيظ والمناسبات المتنوعة والأعياد،

فغافة «المناعي» في منطقة شمل جلفار، ظلت تحتضن الدارسين والباحثين عن العلم والمعرفة، فكانت المكان المحبَّب لنخبة المطاوعة لتعليم التلاميذ القرآن الكريم واللغة العربية وعلوم الدين. ولم تختلف كثيراً عن هذه الغافة غافة «العبدولي» وغافة «أمون»، في منطقة شمل، إذ كانتا ملتقى رئيس، إذ يجتمع الأهالي تحته ظلالهما.

ومن مظاهر التواصل والتكافل الذي شهده شجر الغاف ما مارسه معظم أهل البادية من جلّ سلوكهم الاجتماعي تحت هذه الأشجار، إذ كانت ظلالها مركزاً للتجمع والتنوّع، وحرصت القبائل على الاجتماع تحت ظلالها للتشاور والتداول في أمور حياتهم وأشجانهم، يرتشفون القهوة، ويسترجعون الذكريات التي أصبحت من الماضي، فيما كان بعض أشجار الغاف يشكل محطات التقاء وراحة موسمية لأبناء بعض القبائل، كما هو حال غافة «القرايم» على الطريق في منطقة شمل، حيث كان أبناء بعض القبائل ينامون تحتها عندما يأتون من الجبل لبيع الفحم والحطب والتين، وكذا الأمر مع غافة «الناخي»، وتحت غافة «أسد» كان الحدادون يسكنون موسم القيظ.

ونظراً لكل هذه الأدوار لشجرة الغاف، ولعِظَم مكانتها في حياة أهل الإمارات، فقد صار لهذه الشجرة حضورها في اللغة واللهجة والثقافة المحلية، فتمَّ إعداد أول معجم من نوعه يصدر في المنطقة يختص بالغاف. ولشجرة الغاف حضورها كذلك في الشعر النبطي في دولة الإمارات؛ ففي في

شجر الغاف، انعتقت دواخل الشعراء والشاعرات في بث «الغاف» شيئاً من المكنون الداخلي، فقد انسجمت شجرة الغاف مع الشعراء انسجاماً كبيراً، وباتت جزءاً من حياتهم، وغدت من مؤثثات الحيّز المكاني، بل صارت عائلة الشاعر التي تشاركه المكان، ويودعها أسراره التي يبوح بها في أشعاره.

ومما يُروى عن تعلّق الشعراء بشجر الغاف

ما قالته عميدة الشعر الشعبي في الإمارات الشاعرة موزة بنت جمعة المهيري، عندما أراد راوية الشعر المعروف راشد بن سيف بالحايمة أن يثير قريحتها، ويدفعها إلى نظم الشعر، مستغلاً عشقها الجارف لشجرة الغاف، وتعلّقها بها، فأخبرها أن الرياح الشديدة والسيول الجارفة قد اقتلعت شجر العود (شجر الغاف) الذي كانت تعزّه، فهاجت عاطفة الشاعرة، وتوقَّدت قريحتها، ونظمت قصيدة في بكاء شجر الغاف والتحسّر عليه:

راح وينه عود المجيله	لي مديم وبارد اظلاله
ياه ريح شلّهْ بْسيله	وآزمت لِعيون همّاله
قلت أنا روحي بَرَوّيلَهْ	جاد ينقض عود م الْهاله
سِرت صوب الورق بشكيله	قال اشوف الحال لا تساله
غير بانزرع تماثيله	جان بانتعاض ف أبداله
كم لي حلوه ميادیله	لي حسين وزين لِجْباله
وكم غرٍّ جابع بْشيله	قد ليا وانزاح في ظْلاله

ووضع الباحثون شجرة الغاف في مكانة الشاهد على أحداث ووقائع تاريخية، تكشف الكثير من الأحداث المهمة، مثل «عود التوبة» في مدينة العين، الذي ارتبطت تسميته بفترة حكم الشيخ زايد الأول، و«غافات زايد» في إمارة دبي، التي ارتبط اسمها بالشيخ زايد الأول، و«غافات زاخر» التي شهدت حفل زواج المغفور له الشيخ زايد «طيب الله ثراه» بسمو الشيخة فاطمة بنت مبارك، و«غافة الحصان» في مدينة العين التي كان الشيخ زايد يربط حصانه أسفلها عند تفقّده أحوال المنطقة، عندما كان فيها ممثلًا لحاكم أبوظبي.

كما ضربت بعض أشجار الغاف جذورها في التاريخ، فسُمّيت كثير من المواضع في الإمارات باسمها، ولعل أبرز هذه المواضع موضع «الشبهانة» الشهير الواقع بالقرب من «السلع»، إذ سُمي المكان نسبة إلى شجرة غاف كبيرة معمّرة تاريخها حافل، كانت شاهدة على تطور المكان والإنسان، وتحت ظلالها تم اتخاذ كثير من القرارات التاريخية التي غيّرت من وجه المنطقة. وكان المغفور له الشيخ زايد بن سلطان يجلس في ظلالها كلما جاء لزيارة المنطقة، كما كانت دليلاً للمسافرين بين السعودية والإمارات، فاستراح تحت ظلالها العديد من حجاج بيت الله وعابري السبيل.

ويعتبر البعض أن شجرة الغاف في الإمارات هي شجرة الديمقراطية منذ القدم، فقد مثّلت منتدى حراً لأبناء القبائل المجتمعين تحتها، إذ كان يتوسط كل شيخ من شيوخ القبائل مجلسه المسائي تحت أشجار الغاف، يتداول الأمور بديمقراطية وحرية مع أبناء القبيلة، كما يحق لأبناء القبائل المجاورة الانضمام إليه دون قيد أو شرط، وحتى عابر السبيل كان يلقى كامل الترحيب به في هذا المجلس، فيجتمع الجميع، وتدور حول موقد النار كل موجبات الضيافة المتوافرة آنذاك، يتناقلون الأخبار، ويناقشون أمورهم المهمة، وتروى في جلسة الحضور الحكايات والطرائف، ويتحدث الأوفر حظاً بالعلم عن قضايا دينية وأمور تاريخية.

وقد اتخذ عدد من حكام الإمارات من أشجار الغاف مجالس لاستقبال مواطنيهم، والاستماع إلى مطالبهم بشكل مباشر، إذ يجلس الحاكم للنظر في أمر رعيته ويحلّ مشكلاتهم حضورياً وبشكل وجاهي، على الرغم من الأعداد الكبيرة التي تؤمّ هذه المجالس من القادمين لقضاء حاجتهم أو للسلام، إذ لم يكن الحاكم

يملّ استقبالهم في الهواء الطلق، وفي ظل الغاف الوارف.

وقد تكون شجرة الغاف التي كانت تعتبر مجلساً للمغفور له الشيخ زايد بن سلطان، طيّب الله ثراه، أمام قصر المويجعي أهم هذه الأشجار، وقد ظلت صورتها محفورة في ذاكرة الكثيرين؛ لأن ظلال تلك الشجرة ظلت تشكل المجلس المفضل للشيخ زايد في تلك الفترة، ولطالما سجلت سِيَراً من بساطة حياة وتواضع الزعيم الذي كثيراً ما كان يؤم مجلسه أهل الصحراء إلى جانب أهل العين، حيث ورد ذكرها في كثير من المراجع، وتحدث عنها الرحالة البريطاني ولفرد ثيسجر، الملقب مبارك بن لندن، الذي قابل الشيخ زايد عامي 1945 و1952 تحت هذه الشجرة المعمّرة التي أولاها المغفور له حبه، ومنحها جلّ رعايته واهتمامه، عندما كان ممثلاً للحاكم في منطقة العين.

فكان، طيّب الله ثراه، يجلس مع مواطنيه في مدينة العين، ويشاركهم في معيشتهم، وفي بساطتهم كرجل ديمقراطي لا يعرف الغطرسة أو التكبر، فيخرج مساء ويجلس تحت هذه الشجرة لالتقاء الأهالي ولحل المشكلات، ومناقشتهم في الأمور كافة، إدراكاً مبكراً من سموه، وسابقاً لعصره للعلاقة الوثيقة بين البيئة ورفاهية الإنسان، فيما كان التجمع يتزايد تحت الشجرة عندما كان، طيّب الله ثراه، يستقبل البدو الرحل، أو يحلّ الخصومات بين القبائل. وقد شهدت تلك الشجرة هندسة سموه عندما كان يخطط في النقا والرمال لإقامة مشاريع طرق ومدارس ومستشفيات في العين.

ويقول «ثيسجر» في كتابه «الرمال العربية» عن هذا المجلس:

«كان مجلسه تحت شجرته المفضلة في ذلك الوقت خارج القلعة لا يكاد يخلو من ضيوف وزوار دائمي التردد عليه، وكان في تلك الفترة الحاكم المخلص الوفي، أحَبَّ الجميع وأحبَّه الجميع، فتمكن الشيخ زايد من إرساء قاعدة شعبية ضخمة، من خلال إنجازاته وإصلاحاته في مدينة العين، رغم قلة الإمكانات، والواقع أن حُبَّ أهل العين للشيخ زايد لم يأتِ من فراغ، بل جاء بسبب بساطته وعمله الدؤوب من أجل إرضاء الجميع، كما عرف عنه عدله في فض الخلافات».

المصادر والمراجع

1. ديوان موزة بنت جمعة المهيري، موزة بنت جمعة المهيري، أبوظبي: نادي تراث الإمارات، 2004م.
2. صحيفة الاتحاد، أعداد مختلفة.
3. صحيفة الإمارات اليوم، 2021/2/10م.
4. صحيفة البيان، 2019/2/28م.
5. صحيفة الخليج، 2019/11/28م.
6. مجلة «الحيرة من الشارقة»، عدد 17، يناير 2021م.
7. مركز جمال بن حويرب للدراسات https://jbhsc.ae/41619-2
8. ويلفرد ثيسجر، الرمال العربية، دبي: موتيفيت للنشر، الطبعة الثامنة، 2010م.

عبدالعزيز المسلّم

جهود رائدة في حفريات الثقافة الشعبية الإماراتية وتعزيز الهوية الحضارية

لعل البحث عن سر تفوق الإمارات العربية المتحدة علمياً وثقافياً وحضارياً يكمن في تلك الأيادي المخلصة التي شمّرت عن سواعدها، والعقول التي قدحت أنوار فكرها لحمل لواء الريادة في العلم والمعرفة، وإن في ذلك رجالاً صدقوا الدين والوطن في رفع التحديات عالياً؛ بغية توطين قوميتهم وهويتهم العروبية، وشغلهم الشاغل أن يروا كل بادرة خير تسمو في أرضهم، فعملوا وجدوا في ذلك، وأتقنوا الصنعة، ومن وراء هؤلاء أيادي العطاء تحنو عليهم، وتسندهم وتآزرهم، فلم يبخل أصحاب السمو والمعالي في دولة الإمارات العربية في دعمهم.

أ.د عبدالوهاب المسعود
عميد كلية الآداب واللغات
جامعة الجلفة (الجزائر)

عرف المنجز الحضاري الإماراتي طريقه إلى العالمية، واستبانت معالمه بالفتح المبين على يد نخبة من الباحثين الأفذاذ، حيث بدأ الشعور بمنجزهم يأخذ مدى أوسع، حين وصلوا حاضرهم بماضيهم، واستلهموا طاقاتهم؛ ليجعلوا من تراثهم جسراً حضارياً، بلغوا به مصاف العالمية، ولعل من خيرة أبناء الإمارات العربية المتحدة، ممن تمثلت فيهم روح الوطنية والقومية، ذاك الأديب الأريب

عبدالعزيز المسلّم، الذي خطا بعزم وإرادة إلى الحب والجمال والحرية والأصالة والمعاصرة.

وليس يكفي لنتعرف إلى عبدالعزيز المسلّم أن ندخل عالمه من باب واحد، إنه من بين ندرة مضوا في مسيرتهم الحافلة، جمع بين الأدب والتاريخ والفلسفة والأنثروبولوجيا، والآثار والسياسة، رجل من عملة نادرة وعيار ثقيل، هو المثقف الألمعي الهمام في عرينه، له في العلم والثقافة العربية قامة سامقة مديدة، وقدم راسخة، أديب حقق الإشعاع الفكري للإبداع الشعبي العربي عامة والإماراتي خاصة، صان الذاكرة الثقافية للقومية العروبية، وأسهم في إثبات ثراء الذاكرة الشعبية للإمارات العربية المتحدة الإسلامية، ونحت تراثها الأصيل الضارب في القدم، فانبرى يحاكي أطرها الإنسانية المبجلة التي تحفظ لها كرامتها، وتسمو بها في علياء الفن، رجل تحدى بكل قوة الزيف اللامتناهي للأوليغارشية في نسخها الحضارية الجديدة، فهو مبدع ومبتكر أثرى المكتبات العربية بأسفاره المتينة الرزينة، وأضاف للدراسات الجامعية مناهج جديدة لم يسبقه إليها أحد، كاتب تهافتت الأفكار على ذائقته الفنية، وامتزجت بروحه النقية وسريرته الساحرة البسيطة.

ريادة عبدالعزيز المسلّم في خدمة التراث:

مسيرة عبدالعزيز المسلّم طويلة في مجال تسجيل مقومات التراث الإماراتي وإحيائها وتوثيقها واستدامتها، كإرث حضاري وثقافي للأجيال المُقبلة، فبداية من كونه يترأس كبرى معاهد التراث العربي في الإمارات العربية المتحدة (معهد الشارقة للتراث)، فمنذ أن اعتلى هرم القيادة في هذا الصرح، لم يدخر جهداً في سبيل تجديد العزم للمضي قدماً بالبحث والتنقيب عن الماضي التليد الذي يزخر بألوان عدة من العطاءات الشعبية والمعرفية والأنثروبولوجية والثقافية بشكل عام، إذ نجد لعبدالعزيز المسلّم لمسته السحرية

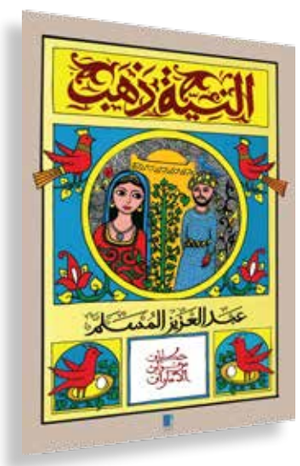

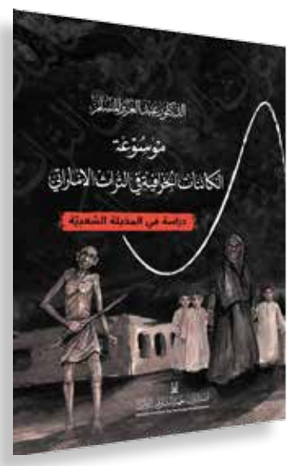

في إطلالاته الكثيرة في المدونات الجديدة للتراث الشعبي الإماراتي.

ولعل المشاركات القوية لعبدالعزيز المسلّم في إطار عملية التنمية الثقافية، واستدامة التراث الإماراتي لخير دليل على اندفاعه لتعزيز الجهود البحثية للحفاظ على الهوية الثقافية والشعبية لمجتمع الإمارات، وما زرعه هذا الرجل يوضح عشقه الكبير والدائم للتراث العربي، واجتهاده فيه يعد تطوراً ثقافياً حضارياً إيجابياً، يسهم في تمكين الفرادة الإماراتية في سلسلة التمثيل التراثي العالمي.

يشكل عبدالعزيز المسلّم حالة خاصة في الثقافة الإماراتية والعربية، ومن خلال منجزه وإنتاجه الغزير، سواء في التدوين والتأليف، أو في المنجز الشعري الشعبي، مع أن هذه البحوث والإنجازات تعيش متناغمة مع بقية المعارف التي يتفوق فيها صاحبنا، دون نرجسية ولا مخاتلة ولا إكبار، فهو يطوي بحوثه بكل عزم وثبات لتسجيل مقومات التراث الإماراتي والتعريف بها عالمياً.

وكانت لعبدالعزيز المسلّم طرق مثلى لاستجلاب البحوث الرصينة التي تخدم الثقافة الشعبية والتراث الثقافي؛ إذ نجد افتتاحياته في المقدمات التي كتبها لمجمل الدراسات التي تناولت التراث الشعبي، تتجلى فيها ملامح مشروع فكري تنويري خالص، وهذا الوسم التمهيدي يعد نصاً محاذياً لنص المتن، وهو علامة على وجهة نظر الجامع الموثق، ومن أشهر افتتاحياته التي وضع لها عنواناً قيماً «من هنا نبدأ»[1]، دلالة على أن البحث في هذا المجال مازال غضاً طرياً، ثم بيّن الهدف المنشود من وراء الإصدارات المختلفة لمعهد الشارقة للتراث.

دراسات عبدالعزيز المسلّم في التراث:

تستعرض دراسات عبدالعزيز المسلّم القيم والمفاهيم ذات الصلة بالتراث الثقافي والهوية الحضارية الإماراتية، وتقديم رؤية موسعة لعلاقة الهوية بالتحديات الراهنة في ظل مكتسبات البحث الأنثروبولوجية الجديدة، فسعى في كتابيه إلى مقاربتين، الأولى تؤسس للتعريف بالتراث الثقافي

الإماراتي، والثانية تسعى للتخطيط لبناء سياسات استراتيجية حضارية تحقق التنمية المستدامة في مجال البحث عن المادة الثقافية الشعبية التي تخدم الهوية الإماراتية، وتحافظ على نسغها المحلي، وتواصل في تأصيل حاضرها، وتثبيت قيمه القمينة بالذكر.

توّج كتابه الموسوم: أمثال السنع بإدراج باقة من الأمثال الشعبية الإماراتية الضاربة في التاريخ العميق للثقافة الشعبية المتداولة بين الناس، وركز على الأمثال التي تصلح أن تكون خادمة للإصلاح القومي[2]، وقد جعل من كتابه هذا بطاقة فنية يعرف من خلالها المنتج الثقافي الشعبي الإماراتي، واشتمل كتابه على موضوعات نحسبها قد جمعت الفكر التنويري للثقافة الإنسانية الشعبية، فطرح في كتابه مدخلاً تعرض فيه لمسرد للأمثال الشعبية، فافتتحه بمدخل للتعريف بمفهوم السنع، باعتباره ضرباً من السلوك التقليدي في حياة الإماراتيين، إذ هو ديدنهم في الحسن والجمال والشرف، ثم حاول أن يجد ما يبرر مفهوم السنع في المعاجم العربية، فأتى بالتعريف اللغوي لهذا المصطلح، وتوسع في موضوعه بشكل لافت للانتباه[3]، وقبل ذلك عرض تفصيلاً لكتاب الأمثال، وقدم خلاصة الآداب العامة التي حملتها تلك الأمثال، من أداب الطريق وآداب المأكل والمشرب، وآداب التعامل مع الآخرين، وآداب الحديث والاستماع وآداب الضيافة، والقناعة[4]، وتلك هي العناصر الموقعة في التراث الشعبي، وركائزه المُتفرّدة في القائمة التمثيلية للتراث الثقافي الإماراتي.

نظر عبدالعزيز المسلّم إلى التراث الإماراتي نظرة واعية، تعتمد على الانتقائية والغربلة، ولعل ذلك يعود إلى الحكمة التي استفادها من محاكاته الطويلة للتراث الشعبي الإماراتي، وظل يفكر بالنهوض بمرموزات التراث التليد، من خلال دمجها في المنتج الحضاري الآني، وتألقه هذا يحسب له من دوره الريادي في حمل مشعل التراث في زمن تحول الإنسان إلى آلة، كتعويض عن قيمته الهوياتية، وهذه النظرة السديدة إلى التراث، التي ينطلق منها، تنشد الحركة وتأبى السكون، لما يرتبط بها من أحداث مهمة، ومواقف معهودة، في خصال عبدالعزيز المسلّم، بحيث أصبح استدعاؤها في نظره أمراً يثري مضمون التراث العربي عامة، ويكشف الكثير من الأمور المسكوت عنها، ويعيد ترتيبها وفق خصوصياتها الحضارية.

ديدن عبدالعزيز المسلّم من تقصيه آثار الثقافة الشعبية استبد فيه الهيام وشغله به الغرام بكل ما هو تراثي، وظل يعرض بضاعة الإمارات التراثية بكل حفاوة، متغنياً بسمو ثقافته التي تبث وجوده الحي، وتعزز هويته القومية، وتشد أواصر

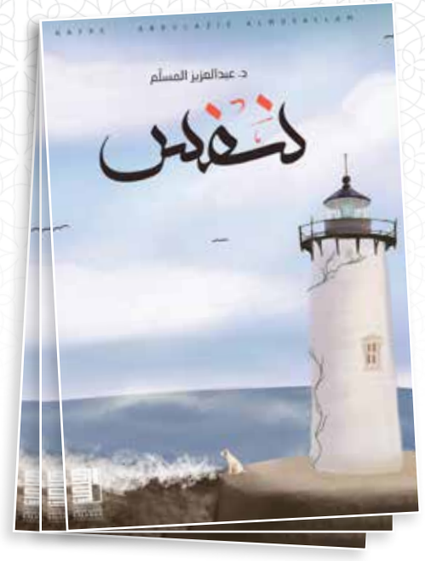

مجتمعه بمقوماتها الشعبية، هذا الاجتهاد اتسمت به دراسته الكبيرة (التراث الثقافي في الإمارات العربية المتحدة)، هذا السفر الماتع بأصناف حية من التراث الشعبي الإماراتي، أفصح فيه صاحبنا عن توجهه الفكري.

هذا الكتاب يستهدف توضيح الرؤية العامة للمكون الرئيس للتراث الثقافي في الإمارات العربية المتحدة، وافتتحه بتوجيهاته الكريمة للاهتمام بالمعارف التقليدية والثقافة الشعبية، وتقديمها في أحلى صورها، بما يجعل متلقيها متعلقاً بها، وحث على توثيق هذه المعارف الثقافية؛ حتى تترسخ مبادئ الهوية الوطنية، وتتنامى في الروح والوجدان، وهذا شعار معهد الشارقة للتراث «نصون التراث.. نحفظ الهوية»، ثم أبان عن الجهود الجادة التي يسعى إليها معهد الشارقة للتراث في بعث البحوث الرصينة الملهمة في هذا المجال[5].

ركّز عبدالعزيز المسلّم جهده في توضيح مقاصد التراث المادي للثقافة الشعبية الإماراتية، وتتبع تمظهراته الأنثروبولوجية، التي جعلت منه يعبر عن خلاصة فكر تنويري ضارب في القدم، يحتكم إلى الصدق، يمتاز بمرونة وتنام مستمر في الحياة اليومية الشعبية، وصار يتمثل ممارساتهم اليومية، حتى استحال إلى معتقد شعبي ترسخ بمرور الزمن، وترسخت معه تلك المعتقدات في عقول الناس وقلوبهم، وأضحت جزءاً مهماً من الوجدان الشعبي، فأصبحت الثقافة الشعبية تعبر عن «موروثات احتلت عقول الناس، وشغلت حياتهم، وقد شغفت بها نفوسهم، وملكت قلوبهم، وأمسى التسليم بها والخضوع لحكمها بدهياً، ومن المسلمات التي لا يمكن أن يرقى إليها الشك، ولا يمكن لتجريح أو نقد أن ينال منها كحقيقة أو يقين»[6].

وظلت هذه الثقافة الشعبية تشكل مادة أفكارهم، وتصنع قراراتهم ومواقفهم؛ إذ «تشكل المعتقدات عند مختلف الشعوب النمط الأصلي والترميز الأولي الذي تنبغي المحافظة عليه عن طريق إحيائه في المناسبات ومظاهر الحياة اليومية، فهي المادة التي تتشكل منها الأفكار، وتطبع التصورات والمواقف، وبالخصوص في المجتمعات المتخلفة ذات الأساليب الأسطورية في مواجهة الواقع. وتأتي في مقدمة هذه المعتقدات، الممارسات السحرية بوصفها أرقى الأشكال وأضمنها، من المنظور الشعبي، في الحصول على النتائج المرغوب فيها، واستعلام الغيب ومعالجة المشكلات الاجتماعية والنفسية، كاستجلاب الحظ والنجاح، وإبعاد الشر

والضرر»[7]، والحاصل من هذا التراث الثقافي هو تمكين الهوية الحضارية للأمة، والتعريف بأصالتها، والتأريخ لذاكرتها الشعبية وتوثيقها.

تدور موضوعات المعتقدات والمعارف الشعبية حول الكائنات فوق الطبيعية، والطب الشعبي والأحلام، والجسم الإنساني، والنبات والأحجار والمعادن، وأخرى تدور حول الأماكن، وأوائل الأشياء وأواخرها والاتجاهات والألوان والأعداد والنظرة إلى العالم وغيرها.[8]، وجاءت موضوعات الكتاب في التراث المادي بالحديث عن مواقع التراث الثقافي المادي، الساحل الإماراتي، والمعتقدات الشعبية والبحر، ثم الحديث عن التاريخ ودوره في حفظ الذاكر الشعبية، ثم انتقل إلى المهن والحرف التقليدية، ودورها في صون الموروث الشعبي، وكيف ربطت بين الماضي والحاضر، واستعرض الفنون الشعبية البارزة في الإمارات العربية المتحدة، وخاصة تلك التي تحظى بعناية فائق في الأوساط الشعبية.

التراث والثقافة الشعبية دعامة الهوية وإثبات الوجود:

شد انتباهنا من خلال قراءتنا كتاب التراث الثقافي في الإمارات العربية المتحدة، أن عبدالعزيز المسلّم دبج كتابه بأفكار مستلة من الواقع الشعبي، تفرد في صوغها بالشكل البنائي المحكم، همه في ذلك الارتقاء بقيمة البحث في التراث الثقافي، إذ جعل البحث فيه يعد المحور في التكوين الحضاري لدول الخليج، باعتباره الجامع لخصوصية الجماعة وروحها، والناطق بضميرها الجمعي[9].

وأبان المسلّم عن أبعاد الاهتمام بالتراث الثقافي، وكيفية التعاطي معه؛ لأنه يمثل في المقام الأول مستوى الثقافة الصانعة للقيادة السياسية، إذ يرى أن الكثير من المؤسسات الحكومية وغير الحكومية تعوّل في مخرجاتها الإدارية وتستن قوانينها من معين التراث الثقافي[10]؛ لأن الثقافة من صميم اختصاصها تعتبر واجهة دعائية تحدد الانتماء للخصوصية الوطنية والعقدية.

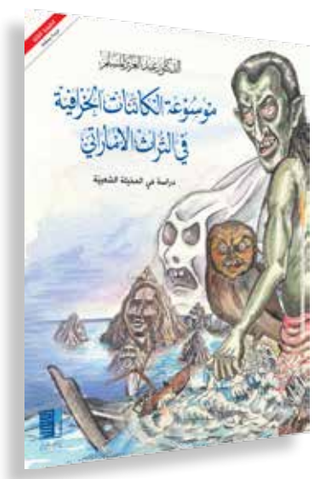

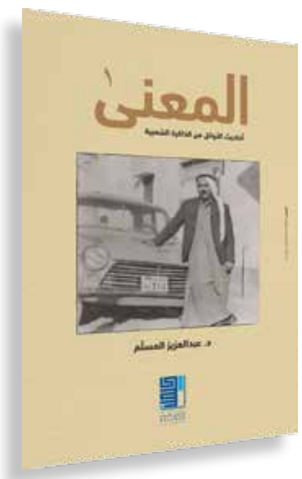

ثم تحدث الكاتب عن منطق الثقافة الشعبية، لالتقاء جوهرها بالهوية، باعتبار أن التراث الحاضن والمنتج لها، وعدّه من نفائس الذخائر التي ورثها السلف عن الخلف، وجعل منها آثاراً علمية وفنية وأدبية وفولكلورية[11]، فترتقي بمستواها الهوياتي عندما تلامس المواد الشعبية الحية المستمرة في التطبيق والممارسة لدى مختلف طبقات المجتمع الواحد.

وبدأ صاحبنا يفلسف صور التجارب الثقافية التراثية ومقارنتها بالمنتج الثقافي الراهن، وأبدى امتعاضه من الثقافة الجديدة التي تنزع إلى المثالية، وتبتعد عن الواقعية المعاشة، وما أصابها من تهجين بسبب الثقافات الأجنبية الواردة، وتتبع قصور النتاجات الثقافية الجديدة، وانحصارها إلى أسوأ مراحلها، وهذا سببه الاختلاط المباشر للأنماط الثقافية، ومما طمس روح الثقافة تكالب الناس على التكنولوجيا الوافدة من الغرب، ومحاولة تسييس الثقافة وجعلها سلعة وبضاعة مزجاة كسائر السلع، وهذا يتنافى مع الحالة الطبيعية للثقافة، ما يجعلنا أمام انهيار ثقافي حاد[12]، فلا يمكن أن تكون الثقافة التكنولوجية بديلاً عن الثقافة الشعبية، لأنها تشوّه جمالها، وتخدش كرامتها، وهذا ما لا ينكره أحد، فيما ذهب إليه عبدالعزيز المسلّم.

فمتى ابتعدنا عن الطبيعة انسلخنا من حقيقتنا، وفقدنا هويتنا ووجودنا، ومنه الابتعاد عن فطرتنا، فتُختزل إنسانيتنا في المادية المقيتة، وتفقد بريقها وتتكلس قوتها أمام جبروت الصناعات الجديدة التي تقض مضاجعنا، وتذوب وتتلاشى جميع الصور الوجودية للإنسان، ويصيبها المسخ والتشوّه، فيدعو صاحبنا إلى التشبث بالقيم التراثية؛ لأنها هويتنا التاريخية والعمود الفقري لخصوصيتها الروحية[13]، فهي مفاتيح قاعدية للمعرفة الإنسانية، تسهم في صناعة الوعي وترقيته، وتهذب الغموض الذي يسكن أعماقنا وتُجليه، وتفتح مغاليق النمط المادي الذي ران على أذهاننا، وسيطر على ذواتنا.

تمظهرات التأريخ ودوره في حفظ الذاكرة الشعبية:

في هذا المبحث نجد عبدالعزيز المسلّم قد لامس روح الثقافة الشعبية، ورؤيته المنطقية ترى أن ساحة الذاكرة الشعبية تمتلئ برواية من يعبئها، لا من يتردد في دخولها، بمنح هذه الذاكرة حقها الأدبي بحفظها بصورتها الحقيقية الجميلة في ذاكرة أبنائنا، ومن أجل إثبات اندماجها الضارب في أعماق التاريخ، وتحصين المجتمع بشفرة التراث الشعبي، بجعله يتناسق ويتماهى في الذاكرة الجماعية، وباعتبار أن ثقافتنا القديمة في الغالب شفوية دائمة الترحال[14]، فأوجبت علينا أن نفرد لها متوناً بحثية تحفظها.

والذاكرة الشعبية كأي مخزون ثقافي تقليدي، فهي «الوعاء الأكثر صدقاً وقوة في حفظ التاريخ المحلي، برموزه وشواهده وأحداثه السارة والمحزنة، ومن دون زيف أو خوف، وبعيد – أيضاً – عن المحاباة والمجاملة والمناورة، فالتاريخ يعنى بالحقيقة فحسب، ويغفل ما سوى ذلك من أمور؛ لأن الأوعية المخصصة لتلك العملية، جبلت على حفظ متن الحقيقة وأصلها، لا حواشيها وزخرفها»[15]، فلا يمكن صون الذاكر الشعبية إلا بتضافر جهود الجماعة؛ لخلق ديناميكية مجتمعية ترعى عناصر التراث الشعبي المشترك، ضمن مقاربة عملية شاملة، تنخرط فيها مؤسسات الدولة الرسمية، والجهود البحثية الفردية الخاصة، فالهويات الثقافية المحلية، وما تمثله من رمزيات متعددة الأبعاد والامتدادات تمثل مدونة كاملة من السير والأذكار والملاحم الشعبية وأخبار من سبقوا، وتحتفل بسرديات الذاكرة الجماعية، فيقع عليها التواتر والانتقال السلس بين الأجيال.

إن ما يدعو إليه عبدالعزيز المسلّم من اهتمام بالذاكرة القومية، والتركيز على بعدها التاريخي ليس بالضرورة إلغاء لصيرورة التطور الحضاري، ولا يعني القطيعة معه، بل هو يتناول الفكرة بطرحها كدراسة سوسيوثقافية تبارك منطقية التاريخ الإنساني المؤسس للمخزون التراثي الثقافي، فالذاكرة الشعبية هي عبور المجتمع من الماضي إلى الحاضر، هي جسر يوصل بين القاعدة والارتقاء.

ظل عبدالعزيز المسلّم يجادل في منطقية الذاكرة الشعبية، ويرى أن دأب عملية التأريخ يعمل على ملء مساحات ذهنية عديدة بالرموز والأحداث المحلية، والحامل المادي لها تمثل في فنون ومهارات الكتابات الأدبية، ومن بين تلك الأجناس الأدبية العديدة التي تكفلت بحفظ الذاكرة الشعبية نجد الشعر، والقصص، والأهازيج والحكايات المغناة، واللغات المشفرة، وفق منهجية غريبة أساسها الاختصار وعدم التصنيف والتبويب[16]، فهي ممارسة فعلية مستمرة في الوجود كشكل ميتافيزيقي، تنتقل عبر الأجيال حين يستلمون شفراتها الدقيقة، فتصبح عادة مألوفة، تمارس علناً، وتتميز بالرسوخ والمرونة اللذين يسمحان لها بتحدي الاندثار، لتبقى إحدى السمات الجوهرية للتراث الثقافي الشعبي على اختلاف مصادره وتمظهراته.

فالتحقيب الزمني للذاكرة الشعبية له أصوله التاريخية، وكينونته الخاصة، فهو يجدد الرموز للأشكال الثقافية التي تقفز فوق أي قطيعة محتملة، ولها قابلية اختراق النماذج الشعبية العابرة، إلا أن الزمن كفيل بأن يمحص ويدقق ويحقق في تدوين وتدويل الحقائق الثقافية ومجهولها.

كثرت المعتقدات الشعبية في المجتمع الإماراتي، فأنتج ثقافة مؤثرة دفعت مسيرة التراث الإماراتي إلى الأمام، فالرموز التاريخية والدينية والأسطورية التي دارت في فلك التراث الشعبي لها أهمية خاصة، وما يلفت النظر في كتاب التراث الثقافي في الإمارات العربية المتحدة، التغطية الشافية الوافية للثقافة الشعبية الإماراتية بكل فروعها، وهذا يدل على قوة التوثيق بغية نشر وعي ثقافي حضاري سلس؛ وقد زاد في فعالية الابتكار في هذا الاتجاه إبداع الموضوعات التي انتقاها عبدالعزيز المسلم، وتوليد العناوين التي تتميز بالأصالة، وتكشف عن الريادة والتقدم في الحوارات الثقافية المعمقة.

مضى الباحث عبدالعزيز المسلم في تدوين تراث الإمارات، حتى غدا كتابه بما يشبه أطلس المعارف، فهو سفر جامع مانع لأصناف الثقافة الشعبية الإماراتية، فهو يرى أن «التراث الثقافي مرآة لحضارة الشعوب، وتراث الإمارات بما يتضمنه من غنى وتنوع، هو محصلة لثقافة شعب عربي عريق»[17]، وتظل هذه الفنون التراثية تغذي الروح العربية وتسمو بها، ومشاركة الإماراتيين في هذا التراث عظيمة جداً، نظير ما قدموه من فنون شعبية تفردوا بها عن العرب، ومن بين تلك الفنون الراسخة في عمق الذاكرة الشعبية الإماراتية: العيالة والأهالة والرزيف، والرواح والندبة وغيرها.

تعد الفنون الشعبية السالفة الذكر من التراث الثقافي غير المادي، ويقصد بالتراث غير المادي مجمل الإبداعات الثقافية، سواء التقليدية أو الشعبية المنبثقة عن جماعة والمنقولة عبر التقاليد، وهي على سبيل المثال: اللغات والموسيقى والأدب الشفهي، والفنون الشعبية والتعبيرية مثل الرقص والمهرجانات[18]، وقد عرفته اليونسكو «بأنه الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات، وما يرتبط بها من آلات ومصنوعات، وأماكن ثقافية التي تعدها الجماعات والأفراد جزءاً من تراثهم الثقافي»[19]، وصارت هذه الفنون الشعبية التي دونها الباحث كنسق ثقافي متجذّر في الإمارات، وعمد

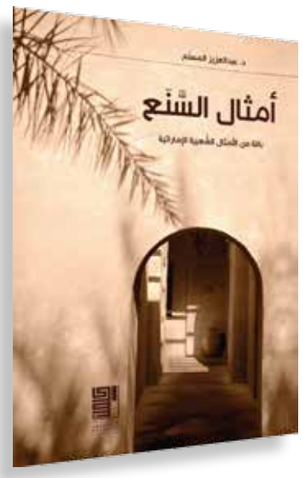

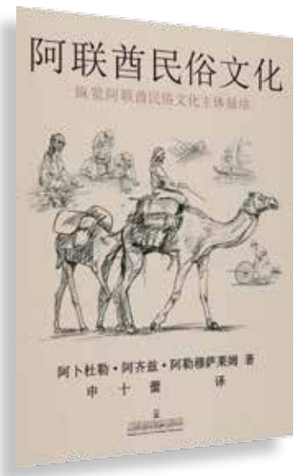

إلى إظهار قيمها وصورها الإيجابية في الحياة الاجتماعية الشعبية، وبين مواسمها.

شرح الباحث فن العيالة بشكل مستفيض، وهو الفن الشعبي الراقي، وهو رقص شعبي، مخصص بموسيقى معينة، ولباس خاص، وهيئة الرقص بتشكيل صفين متقابلين وسط العازفين، ويمارس هذا الركح الشعبي أشخاص من علية القوم وشيوخهم وكبارهم، وتتناغم الموسيقى مع الرقص، ويزيد من بهاء الرقصة السيوف والبنادق والخناجر التي يلوح بها الراقصون؛ إذ تأخذ العيالة أعدل وأجمل الأغاني الحماسية[20]، ويشترط الأصوات الرخيمة العميقة القرار فيها، وهي استعراض فني مهاري، يعتمد إنشاد القصائد والإيقاعات الحماسية، واستعراض السيوف، وكأنها عرض وداع المحاربين أو استقبال المنتصرين[21]، الباحث شرح بالتفصيل هذا المقام الموسيقي، ووضح كيفية ممارسته، وطبيعة الأصوات المعول عليها فيه، موضحاً قيمته الشعبية.

إن القراءة الصحيحة التي تبناها عبدالعزيز المسلّم لذاكرتنا الشعبية، والتأويل السليم لثقافتنا العميقة، يعد منحى فكرياً يأبى الانغلاق للتجلي الجديد للحداثة، بل ينفتح عليها ويدعمها، ويسعى إلى ترشيدها، ووضعها في مسارها الواقعي، وتحجيمها حتى لا تطغى وتقع في شرك الاستلاب والتبعية، وتحريرها من عقدة الدونية، فتقفز وتهمل التراث القديم، فرصد الكثير من القيم المعرفية والثقافية التي يصعب حصرها في هذا البحث، وما قدمناه يعد غيضاً من فيض أمتعنا به الأستاذ الدكتور عبدالعزيز المسلّم.

1- ينظر، سالم زايد الطنيجي، دراسات في التراث الشعبي الإماراتي، معهد الشارقة للتراث، ط1، 2019، ص7.
2- ينظر، عبدالعزيز المسلّم، أمثال السّنع (باقة من الأمثال الشعبية الإماراتية)، معهد الشارقة للتراث، الشارقة، ط1، 2016، ص8.
3- ينظر، المصدر السابق، ص13.
4- ينظر، المصدر نفسه، ص11.
5- ينظر، عبدالعزيز المسلّم، التراث الثقافي في الإمارات العربية المتحدة، منشورات معهد الشارقة للتراث، الشارقة، ط1، 2019، ص9، 10
6- الطابور، عبدالله علي، مدخل للتراث الشعبي في الإمارات، ص .245
7- بلحاج، كاملي: أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة (قراءة في المكونات والأصول)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2004، ص 128.
8- ينظر، الطابور، عبدالله علي، مدخل للتراث الشعبي في الإمارات، ص 245.
9- ينظر، عبدالعزيز المسلّم، التراث الثقافي في الإمارات العربية المتحدة، ص 14.
10- ينظر، عبدالعزيز المسلّم، التراث الثقافي في الإمارات العربية المتحدة، ص 14.
11- ينظر، المصدر السابق، ص16.
12- ينظر، المصدر نفسه، ص18، 19.
13- ينظر، عبدالعزيز المسلّم، التراث الثقافي في الإمارات العربية المتحدة، ص22.
14 ينظر المصدر السابق، ص 54.
15- عبدالعزيز المسلّم، التراث الثقافي في الإمارات العربية المتحدة، ص 55.
16- المصدر السابق، ص56.
17- عبدالعزيز المسلم، التراث الثقافي في الإمارات العربية المتحدة، ص170.
18- قسيمة كباشي، التجربة السودانية في إدارة التراث الثقافي، الطابع والمروة للطباعة والنشر، الخرطوم، 2008، ص24.
19- اليونسكو، اتفاقيات بشأن التراث الثقافي غير المادي، الدورة الثانية والثلاثون، باريس، 2003، المادة الأولى.
وينظر عبدالعزيز المسلم، التراث الثقافي في الإمارات العربية المتحدة، ص21.
20- وينظر عبدالعزيز المسلّم، التراث الثقافي في الإمارات العربية المتحدة، ص174.
21- ينظر، المصدر السابق، ص175.

الأمثال العربية

عصام الدنمي

الأمثال هي رسالة توصل المراد إلى العقول، وإلى فهم المعاني، وإتقان اللفظ، وتصحيح المعنى، ودقة التشبيه، وإيصال المحسوس إلى العقول؛ ولهذا تسامى هذا النوع الرائع في الأدب العربي، وأصبح حكمة العرب في الجاهلية وفي الإسلام، وحمل بين ثناياه جوانب شتى في التراث الفكري والاجتماعي.

المثل في اللغة يطلق على الشيء الذي نقتدي به، أو نمثل به؛ قال الله تعالى: ﴿ولله المثل الأعلى﴾، (النحل 60)، هنا يريد الله سبحانه وتعالى من عباده توحيده، ونفي كل إله سواه. فالمثل الأعلى التوحيد الخالص، والصفات الإلهية العليا التي لا ينازعه فيها أحد، سبحانه.

نبتدئ بهذا المثل الإماراتي:

«الصحون في البيت تداق».

وفي مصر وبعض الدول العربية يقولون:

«مصارين البطن بتضارب».

بمعنى الصحون إن تضرب ببعضها قد تتكسر، وقد لا تتكسر .

المثل يوضح أنه لا يوجد بيت يخلو من المشكلات، وكذلك أي عمل أو أي صداقة قد يحصل فيها مشكلات أو خلافات بسيطة، وهذا من الأمور الطبيعية في حياتنا، لكن يجب ألّا تتطوّر هذه المشكلات البسيطة، وعلينا أن نتجاوزها بودّ وحبّ، وبقلوب نقيّة صافية.

إن في الأمثال حِكماً وعبراً نتعظ بها، ونقتدي بها؛ لتكون أسس حياتنا، وإنها لم تأتِ من فراغ، بل جاءت من تجارب حياة أجدادنا.

الغيلان
في كتاب الحيوان

د.محمد الجويلي
أكاديمي – تونس

انشغل الجاحظ بالغيلان في كتاب الحيوان، وباعتباره أحد أئمّة العقل في عصر أدرج الاعتقاد في وجود الغيلان في خانة الخرافات الشعبيّة، لكنّه قبل أن يدحض وجود الغول، ويبيّن السبب الذي جعل عوام العرب يدّعون رؤيته، والالتقاء به، ومعاشرته، يصل هذا الاعتقاد بعوامل جغرافيّة ونفسيّة، فإذا كان الأعراب على حدّ قوله «قد تذاكروا تغوّل الغيلان، فإنّ هذا الأمر وابتداءه يتمثّل في أنّ القوم لمّا نزلوا بلاد الوحِش، عملت فيهم الوحشة. ومن انفرد وطال مقامُه في البلاد والخلاء والبُعد من الإنس استوحش، ولاسيّما مع قلّة الأشغال والمذاكرين. والوحدة لا تقطَع أيّامهم إلّا بالمُنى والتفكير والفكر ربّما كان من أسباب الوسوسة، وإذا استوحش الإنسان تمثّل له الشيء الصغير في صورة الكبير، وارتاب، وتفرّق ذهنُه، فرأى ما لا يُرى، وسمع ما لا يُسمع، وتوهّم على الشيء اليسير أنّه عظيم جليل». يربط الجاحظ، إذن، بين العيش في القفار والوسوسة التي تجعل المرء يتخيّل ما لا وجود له في الواقع مثل الغيلان، قبل أن ينتقل إلى التأكيد على انتشار مثل هذه المعتقدات بين الأعراب والعوام دون غيرهم، وينفي عن خاصة العقلاء والعُلماء اعتقادهم في مثل هذه الخرافات، التي سرعان ما تنتشر بفعل الرواية الشفويّة شعراً وأخباراً بين الناس، فينتهون إلى تصديقها، وتصبح عبارة عن حقائق، حتّى وإنْ كانت في أصلها مجرّد أكاذيب، ولعلّ زواج آدمي أو آدميّة بالغول أو السعلاة التي تعترضنا في الحكايات الشعبية العربية والعالميّة، على سبيل الرمز والإيحاء والتخريف، هو أكثر هذه الأوهام انتشاراً. ويضيف الجاحظ قائلاً متحدّثاً عن الغيلان «ثم جعلوا (الأعراب) ما تصوّر لهم من ذلك شعراً تناشدوه، وأحاديث توارثوها، فازدادوا بذلك إيماناً، ونشأ عليه الناشئ، ورُبّي به الطفل، فصار أحدهم حين يتوسّط الفيافي، وتشتمل عليه الغيظان (غيظ الهجيرة: اشتداد الحرارة) في الليالي الحنادس، فعند أوّل وحشة وفزْعة، وعند صياح بوم، ومجاوبة صدى، وقد رأى كلّ باطل، وتوهّم كلّ زُور، وربّما كان في أصل الخلق والطبيعة كذّاباً نفّاجاً، وصاحب تشنيع وتأويل، فيقول في ذلك من الشعر على حسب هذه الصفة. فعند ذلك يقول: رأيت الغيلان، وكلّمت السِّعلاة، ثمّ يتجاوز ذلك إلى أن يقول: قتلتها، ثمّ يتجاوز ذلك إلى أن يقول: رافقتها، ثمّ يتجاوز ذلك إلى أن يقول: تزوجتها».

ريادة الأعمال في القطاع الثقافي

في العقد الأخير، تزايد الاهتمام بنماذج الأعمال التي يستخدمها أصحاب المشاريع الثقافية، في ظل وجود محفّزات ومبررات لهذه الممارسات، برز معها دور ريادة الأعمال الثقافية في التنمية الوطنية الشاملة والمستدامة.

أحمد عادل زيدان
باحث – مصر

تعدّ ريادة الأعمال الثقافية نموذجاً مستحدثاً للأعمال في القطاع الثقافي، يضع الثقافة في قلب استراتيجية النمو والتنمية الوطنية، يعمل هذا النموذج على خلق قيمة اقتصادية، من خلال استغلال الموارد المحلية المتوافرة في النسيج الثقافي للمجتمع بشكل فعّال لخلق القيمة المضافة، وهذا هو جوهر نهج ريادة الأعمال الثقافية.

ينسج هذا النوع من ريادة الأعمال، القيم الثقافية مع استراتيجيات التنمية الاقتصادية لبناء التغيير الاجتماعي الإيجابي المستدام، بالإضافة إلى تطوير القدرة على التفكير النقدي في السياقات التاريخية والاجتماعية والثقافية عند الشروع في تصميم وتنفيذ مشروع أو منتج ثقافي، كما يساعد المجتمعات على خلق وتطوير مبادرات جديدة للسوق، مثل المهرجانات الثقافية والممرات والأسواق الثقافية واستراتيجيات التسوق الرقمي.

لقد أثارت العولمة والثقافة التشاركية والتقنيات الرقمية الحاجة إلى نماذج عمل وأشكال تنظيمية جديدة، وتجارب أكثر تفاعلية وجذباً للجماهير، وتبني أساليب إبداعية في كل مرحلة من مراحل تصميم وإنجاز المنتجات والخدمات الثقافية، فالتقنيات الحديثة على سبيل المثال (مثل الواقع الافتراضي، والروبوتات)، يمكن الاعتماد عليها في إنشاء منتجات أو تجارب ثقافية جديدة، ليس فقط من خلال الشركات الثقافية الناشئة، ولكن أيضاً من خلال المؤسسات الثقافية المحلية؛ لذا يمكن أن يكون لهذه النماذج الجديدة من خلال السياسات المتسقة، تأثير إيجابي في النمو الاقتصادي والتماسك الاجتماعي للبلدان، حيث تعتمد على التراث والتنوع الثقافي كأصول رئيسة.

ترجع دراسة ريادة الأعمال إلى أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر، من خلال عالم الاقتصاد الإيرلندي-الفرنسي ريتشارد كانتيلون، الذي كانت كتاباته أساساً للاقتصاد الكلاسيكي، حيث استخدم لأول مرة مصطلح «رائد أعمال»، وتناول سمات ودور رجل الأعمال في كتابه الرائد Essai sur la Nature du Commerce en Général المنشور عام 1755م. كان تناوله للمصطلح في ذلك الوقت يعكس طبيعة البيئة والأعمال التجارية المرتبطة بها، كالزراعة وما يرتبط بها من مخاطر وطرق تسويق المحاصيل وتوزيعها، مع تطور الزمن والنمو الاقتصادي المتسارع أخذ المصطلح في الوضوح أكثر من ذي قبل.

بعد محاولات حثيثة من رجال الاقتصاد أمثال ألفريد مارشال، وليون والراس، وجون بيتس كلارك، أخذ المفهوم يتبلور بالممارسة، وتعدّد التجارب لتكتمل صورته بشكل واضح من قبل جوزيف شومبيتر عام 1911، من خلال كتابه Theorie der

wirtschaftlichen Entwicklung (نظرية التنمية الاقتصادية) والذي أشار فيه إلى الدوافع النفسية لنمو الأعمال، ووفقاً لشومبيتر في كتابه، فإن رائد الأعمال هو «من يبتكر سلعة أو خدمة جديدة»، أصبح هذا التعريف لاحقاً أساساً للدراسات والنظريات المتعلقة بقطاع ريادة الأعمال.

في عام 1982، طرح Paul Dimaggio مفهوم جديد يشير إلى البعد الاقتصادي للثقافة، وهو «ريادة الأعمال الثقافية» إيذاناً بظهور قطاع جديد نسبياً، يجمع بين الإدارة والدراسات الثقافية، وخلال نحو عقدين من الزمان بعد طرح Paul Dimaggio لم يلقَ قطاع ريادة الأعمال الثقافية الاهتمام والزخم الكافي، سواء من الناحية المفاهيمية، أو الممارسة المحددة له، سواء في الأوساط الثقافية أو إدارة الأعمال، حتى مطلع الألفية الجديدة، والذي شهد معها هذا القطاع الناشئ اهتماماً متزايداً من قبل الباحثين والممارسين، وتبلور بشكل جلي في كتاب الثقافات والعولمة: الاقتصاد الثقافي، لمؤلفه Helmut K. Anheier في عام 2008. ثم توالت الدراسات التي تناولته دراسة وبحثاً مجتهدة في صياغة مفهومه ورسم أبعاده واستجلاء بنيته وسماته.

يشير مصطلح ريادة الأعمال الثقافية إلى أنشطة وقطاعات الصناعة الإبداعية، والتي تعتمد على مقومات أربع، هي المواهب والملكية الفكرية والاتصال والتراث الثقافي، كما تشير إلى الممارسات الفردية والمؤسسية ذات العلاقة بالمهن الثقافية وأنماط الإنتاج الثقافي. ووفقاً لـ Aageson فإن «ريادة الأعمال الثقافية هي الحلقة المفقودة بين المواهب الإبداعية والأسواق»، ووفقاً لـ Hausmann تُعرف ريادة الأعمال الثقافية بأنها ريادة الأعمال في القطاع الثقافي؛ حيث يتكون القطاع الثقافي من العمارة والتصميم، ونشر الكتب، ووسائل الإعلام، وصناعة الأفلام، والتسويق، والمعارض الفنية، والفنون البصرية، والمتاحف، والمكتبات، والمسرح، والأوبرا، والموسيقى وغيرها من الأنشطة والمجالات ذات الصلة بالقطاع الثقافي.

كما يشار إلى رائد الأعمال الثقافي إلى أنه رجل أعمال يبتكر أعمالاً تجمع بين الفنون والتكنولوجيا وذات صلة بالتراث والتنوّع الثقافي لمجتمع معين. ويتسم بأنه شخص يجمع بين ملكتين، الأولى المعرفة بالفنون والعمليات الإبداعية، والقدرة على اكتشاف المواهب الإبداعية، والثانية لديه الوعي بأساليب وتقنيات التسويق الفعالة؛ لذا يمكن القول إن رواد الأعمال الثقافيين هم وكلاء للتغيير الثقافي والاجتماعي، من خلال استثمار رأس المال الثقافي والمالي والاجتماعي والبشري، لتوليد الإيرادات من الأنشطة الثقافية، حيث تؤدي حلولهم ومنتجاتهم المبتكرة إلى إنشاء مؤسسات ثقافية مستدامة اقتصادياً، تعزز سبل العيش وتخلق قيمة لكل من المنتجين والمستهلكين للخدمات والمنتجات الثقافية، فالهدف النهائي من مشاريعهم التجارية هو معالجة المشكلات الاجتماعية بالارتكاز على التراث الثقافي للمجتمع .

تقوم فلسفة مشاريع ريادة الأعمال الثقافية على عوامل عدة، منها طريقة إنتاج السلع والخدمات الثقافية، ودوافع وجودها، وإلى أي مدى تتقاسم وتتشارك رأس المال البشري والمالي والاجتماعي لتحقيق الاستدامة، كما تساعد مشروعات ريادة الأعمال الثقافية على تحقيق جملة من الفوائد، منها تعزيز الهوية، وتقوية أواصر النسيج

الاجتماعي، وتوفير فرص العمل، وتعزيز قدرات الاقتصاد الوطني.

كما أن هناك اعتبارات عدة لابد من مراعاتها قبل الشروع في تنفيذ المشروعات والأعمال الثقافية لضمان نجاعتها، ومواءمتها للأهداف والسياسات التنظيمية، أهمها، ضرورة الوعي بأبعاد ومفردات الثقافة المحلية، ومراعاة مبادئ التنوع الثقافي للمجتمع، والامتثال للقواعد واللوائح والأطر القانونية ذات الصلة، وفهم ومراعاة النظام الاقتصادي القائم، ودراسة احتياجات السوق المحلية، ودراسة ديناميات العرض والطلب، بالإضافة إلى توافر الموارد اللازمة للمشروع.

إن نجاح قطاع الأعمال الثقافية في المدن والمجتمعات يقف على عامل مهم وحاسم، وهو مدى تبني الدولة للسياسات والاستراتيجيات الداعمة لهذا القطاع الناشئ، وعدم إغفالها رغبات وتطلعات المجتمعات المحلية في التنمية وتحقيق الرفاهية، حيث تتطلب أنشطة ريادة الأعمال بيئة مرنة وسريعة الاستجابة. علاوة على ذلك، يقع على عاتق الدولة مسؤولية توفير نظام بيئي متكامل للصناعة الثقافية، من خلال تهيئة البيئة الملائمة، وتحسين ظروف العمل في هذا القطاع، وتخصيص الموارد اللازمة لتمويل المبدعين ومؤسسات الإبداع غير الهادفة للربح، من خلال تقديم ائتمانات ضريبية لتحفيز الشركات، وإنشاء إطار تنظيمي محفز لدفع ريادة الأعمال الثقافية، وتشجيع المبادرات الرامية لتعزيز دور الثقافة في المجتمع، وعقد شراكات مستدامة مع القطاع الخاص من أجل تحقيق تلك الأهداف.

اكتشاف التراث العربي (6)

«ضحى الإسلام»..

قَرْنَا تدوينِ العلوم وتأسيس المعارف (3)

إيهاب الملاح
كاتب وباحث في التراث – مصر

ونستأنف الحديث عن موسوعة أحمد أمين الباذخة؛ لتأريخ الحياة العقلية والفكرية في حياة المسلمين خلال أربعة قرون كاملة، فبعد «فجر الإسلام» التي أفردنا لها المقالة السابقة، تأتي المرحلة الثانية «ضحى الإسلام» التي جاءت في ثلاثة مجلدات وافية، أعتبرها من أهم ما كتب حتى وقتنا هذا في رصد وتحرير النشاط العقلي والفكري، وتأطيره اجتماعياً وسياسياً في القرنين الثاني والثالث الهجريين.

- 1 -

لم يبالغ الدكتور طه حسين أبداً حينما كتب في تقديمه لثلاثية «ضحى الإسلام»، يقول:

«لن تكون حياة المسلمين، منذ اليوم، كما كانت من قبل غامضة مضطربة، يتحدث عنها مؤرخو الآداب بالتقريب لا بالتحقيق، ويقولون فيها بالظن لا باليقين، ذلك عصر انقضى، وأُلقِيَ بينه وبين الذين سيؤرخون الآداب ستارٌ صفيقٌ ألقاه أحمد أمين، وأصبح الذين يقصدون إلى تاريخ الأدب اليوم قادرين، منذ اليوم، على أن يحققوا ويستيقنوا ويسيروا في بحثهم على بصيرة وهدى».

و«ضحى الإسلام» (3 أجزاء) بمعنى من المعاني يأتي متمماً لكتاب أحمد أمين عن «فجر الإسلام»، فقد درس فيه تاريخ الحياة العقلية للمسلمين في القرن الثاني للهجرة، وذلك من خلال بحثه الرائع المستفيض في الحياة الاجتماعية والثقافات المختلفة (دينية وغير دينية) في العصر العباسي الأول (132-232هـ).

وقد سار فيه سيره في «فجر الإسلام»: «رائدي الصدق والإخلاص للحق، فإن أصبت فحمداً لله على توفيقه، وإن أخطأت فالحق أردت، ولكل امرئ ما نوى»، كما يقول أحمد أمين في تقديمه.

- 2 -

وقد أوضح أنه يعني بضحى الإسلام بالمائة السنة الأولى للعصر العباسي (132-232هـ) أي إلى خلافة الواثق بالله، لما لهذا العصر من لون علمي خاص، بالإضافة إلى أن له لوناً في السياسة والأدب خاصاً، حيث امتاز هذا العصر بغلبة العنصر الفارسي، وبحرية الفكر إلى حدٍّ ما، وبدولة المعتزلة وسلطانهم، وبتلوين الأدب من شعر ونثر لوناً احتذي على كر الدهور واختلاف العصور، كما امتاز بتدوين ما باللسان العربي إلى قيد في الدفاتر وتسجيل في الكتب، وما باللسان الأجنبي إلى لغة العرب، وهو في كل هذا يخالف العصور قبله، والعصور بعده، مخالفة تجعله حلقة قائمة بنفسها، يصح أن تسمى، وأن تدرس، وأن تميز.

أحمد أمين
ريشة جمال قطب

على أن المؤلف قد تطرق إلى البحث فيما قبل هذه الفترة الزمنية أو ما بعدها، فقد لجأ في بعض الأحيان إلى إيضاح الفكرة بربطها بما كان منها في العصر الذي قبله، أو إلى تسلسلها إلى تجاوزه إلى العصر الذي بعده.

وربما لهذا السبب يقول أحمد أمين في تقديمه «ولقد لقيتُ في هذا الجزء من العناء ما لم ألقه في غيره من الأجزاء، لأن العقائد الدينية قد عملت فيها الأهواء أكثر مما عملت في غيرها من مناحي الحياة.. فتحريرُ المذهب كما يتصوره أصحابه في غاية الصعوبة، والخطوط المرسومةُ في تحديدهِ في كثير من الأحيان غامضةٌ ملتوية». (ص 5)

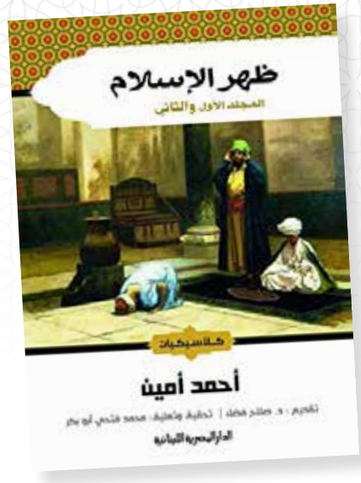

وقـد أنفـق الكاتبُ في هذا الكتاب نحـو ثمانيةِ أعوام، يمكـن لباحـث أن يصل إليـه ويحققـه، يقول: غـاص خلالها في أعمـاق حياة العباسـيين العقلية في عصرهـمُ الأول من جميع أنحائها.. ليكشـفَ بالبحث والتنقيـب مع التثبـتِ والتدقيق والتوقـفِ والتأني عن ذخائـر هذا الفكر وكنـوزِه، يقول الناقدُ الكبير الراحل الدكتـور شـوقي ضيف عن ذلـك «وقد أنفـق في هذا الكتـاب نحـو ثمانيـةِ أعوام، أبلـى فيها بـلاءً حميداً، بـلاءً تمثـلَ فيه حياةَ العباسـيين العقليـةَ في عصرهمُ الأول تمثـلا رائعـاً، حتـى ليبـدو كأنـه خالَطَهـم في هـذه الحيـاةِ مُخالطـةً دقيقة، بـل لكأنه اسـتطاعَ أن يُخالطَهـم في حياتَهمُ اليوميةِ التـي كانوا يحيونها ليلاً ونهاراً، صباحاً ومسـاءً».

- 3 -

ومـن المهم هنا أن نشـير إلـى طريقة أحمـد أمين في جمـع مادتـه وترتيبهـا وكيفيـة الكتابة، ذلـك أن هذا النهـج قـد وفـر اسـتقصاء مثـل في وقتـه أقصى ما

عَنَّـتْ فكـرة جديـدة رجعـت إليهـا في مظانهـا، حتى ينتهـي الموضـوع، فأنتقل إلـى ما بعده وهكـذا، وعلى هـذا النمط أخرجت الجـزء الأول والثاني والثالث من ضحى الإسـلام في نحو سـنتين. وهكذا تخصصت في (الإسلاميات)...».

- 4 -

تنـاول في الجـزء الأول منـه الحيـاة الاجتماعية بكل مـا فيها من عـادات وتصورات للبيئـة التي أخذت في التشـكل والتحول والانتقـال، وأصبحت هناك حواضر ومراكـز ثقافية يصح أن نميزهـا ونحددها، كما أطلق عليهـا صاحـب الكتـاب «البيئـات الثقافيـة والدينية المختلفـة في العصـر العباسـي الأول (132–232هـ)»، ولعـل براعـة أحمد أمين القصوى قـد تجلت في بحث هـذا الجانب من حيث اسـتعانته بالشـعر والنصوص، وكل مـا يمكـن أن يُستشـف منـه أمـر ذو دلالـة على مناحـي الحيـاة الاجتماعية، وكان أحمـد أمين موفقاً غايـة التوفيـق في تتبـع مسـارات وروافـد التأثير في الفكـر والحياة في تلك الفتـرة الباكرة من عمر الثقافة الإسـلامية، فجلَّاها خيـر جلاء (تتبع الأثـر اليوناني والأثـر الفارسـي، وكل مـا هو غيـر عربـي بالجملة، بصبـر وأناة ودقـة ودليل).

وفي الجـزء الثاني، تناول أحمد أمـين الحركة العلمية الشـاملة، والمراكـز الثقافيـة وعصـر التدوين ونشـأة العلوم الإسـلامية الأصيلة: الفقه والتفسير والحديث والأدب واللغـة والنحـو والتاريخ والمؤرخون.

أمـا في الجزء الثالث، فقد خصّصـه بأكمله للحركات الدينيـة تفصيـلاً (تحـدث فيـه عـن علـم الـكلام، ونشـأته، والظـروف المحيطـة بـه، والعوامـل المؤثـرة فيـه... ثـم تكلـم عـن الشـيعة الإماميـة، والخـوارج والمعتزلـة، وتاريـخ كل فرقـة منهـا، وأشـهر رجالهـا وأعلامهـا... إلخ)، وخـصَّ المعتزلة بنصيـبٍ واف من الحديث المسـهب الشـارح.

- 5 -

تميـزت هذه الموسـوعة كما يقول الناقـدُ الكبير رجاء النقاش «بالسـهولة واليسـر، وغـزارة المعلومات، ودقةِ تنظيمِهـا، وحسـنِ عرضِهـا، كمـا تميـزت بحرصـهِ الشـديد علـى أن يوجهَ أنظـارَ المجتمـع الحديث إلى أسـبابِ التخلـفِ والتأخـرِ، كلما كانت هنـاك فرصةٌ لإبرازِ ذلك وشـرحِه وتحليله؛ ولذلك جاءت موسـوعةُ أحمـد أمـين مرجعـاً ثميناً حتـى للباحثـين الغربيين الذيـن يدرسـون الفكـر العربـي، ويتابعـون تطوره في مراحلـه المختلفة».

وقـد أعانـه علـى ذلـك ثقافتُـهُ القديمـة في الأزهـر والقضـاءِ الشـرعي، وثقافتـهُ العصريـة الحديثـة، واطلاعـهُ علـى الفكـر الغربـي، كما أعانـه على ذلك أيضـاً، وكمـا يقـول المرحـوم الدكتـور شـوقي ضيف «عقـلٌ بصيـر، ودأبٌ لا يكلُ في البحثِ، فإذا هو ينقضُ علـى ذخائر الفكر الإسـلامي، فيسـتوعبها اسـتيعاباً كامـلاً، وإذا هي تسـتحيلُ إلى فصولٍ وأبواب يسـوي منهـا كتابه، وكأنه عالمٌ من علمـاء الطبيعةِ، إذ لايزالُ يجمـعُ الجزئيـةَ إلـى الجزئيـةِ، والنـصَ إلـى النص، مُرتبـاً مُصنفـاً حتى تسـتقيمَ له مُشـخصاتُ الفصل والبـاب جميعـاً، كمـا تسـتقيمُ لـه مُشـخصاتُ كلِ فكـرةٍ بظاهرهـا وباطنها العميـق.. إذ لايزالُ يُسـلطُ عليها أشـعة عقلـهِ المضيء حتى يسـتبينَ له جوهرُها الدفـين».. (وللحديـث بقية).

زكريا الحجّاوي

ورؤيته التأسيسيّة للفن الشعبي

د. حنان الشرنوبي
ناقدة – مصر

من بحيرة المنزلة، حيث غناء الصيادين الذي لا ينقطع، والمساحات الخضراء الممتدة متعة للناظرين، في منزل بسيط احتوى على اختراع «الجرامافون»، الذي كان يصدح بصوت سيد درويش، جاء إلينا زكريا الحجّاوي، الذي أراد أن يحيا على نهج الطبيعة التي نشأ منها وداخله أصول الفن والجمال، ما دفعه للسعي إلى اكتشاف الإبداع ومصادره، فهامَ بين أرجاء المحروسة – بعد قيام ثورة يوليو 1952 – مستكشفاً صوتها الشعبي بين المواويل والأغاني والبكائيات.

ولم يكن الأمر سهلاً؛ بسبب اختلاف الطبيعة المنهجية لدراسات الأدب الشعبي، وتعدد أشكاله وأزمنته، فمن أجله طُرِح الفن الشعبي جانباً، وأُغفِل كثير منه، وعندما حاول بعضُهم الاهتمامَ به، اقتصرت عليه الدراسة التقليدية. ومن الصعوبات أيضاً التي واجهت الحجّاوي أن الإمكانات التي ظن أنها ستحقق أهدافه، كادت أن تكون معدومة كمّاً وكيْفاً، ولكنه تمكن بأعجوبة من جمع «الأغاني والبكائيات والمواويل»، وأعاد تقديمها بأسلوب راقٍ وبديع، ونهض بما قدمه من فنون شعبية للجماهير.

ومن أهم الفنون وأقدمها التي عرفها العالم العربي، باعتبارها فناً شعبياً «الموّال»، الذي يمثل لهم بعض المواقف الحياتية اليومية، ويعبّر عنها. وكمثل معظم المصريين ولع الفنان زكريا الحجّاوي بالموّال، غير أنه ميّز بين أنواعه، إذ وضح أن للموال نوعين،

أولهما: الموال الأحمر (المُزْهِر)، وهو الذي ينتهي كل بيت فيه بالكلمة نفسها.

أما ثانيهما: فهو الموال (الأبيض)، وينتهي أيضاً كل بيت بالكلمة نفسها، غير أنها دائماً تحمل المعنى ذاته، دون إثارة عقل المتلقي أو ذهنه؛ لذلك سمّي أبيضَ

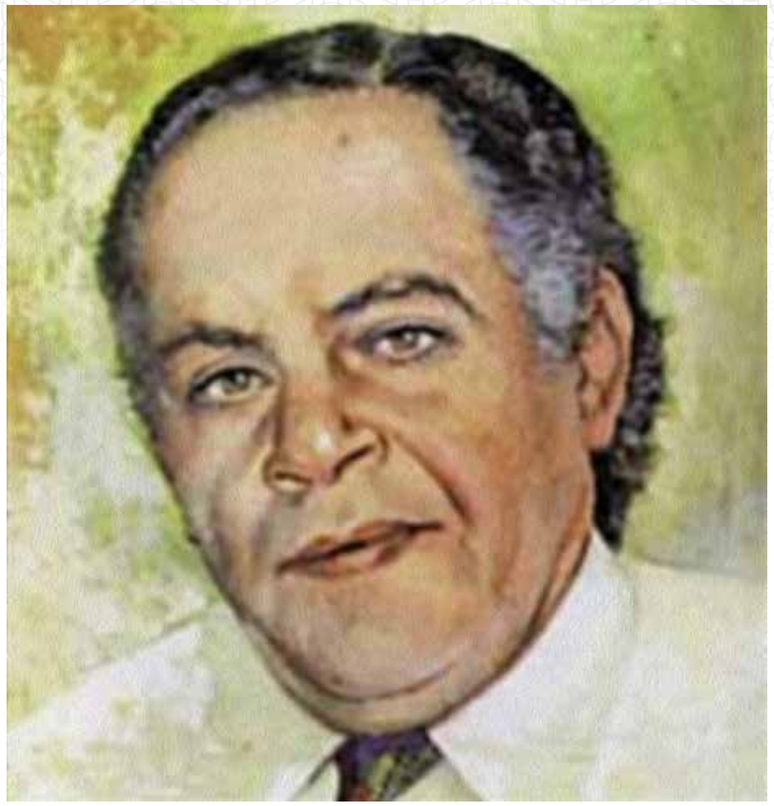

لفراغه من أي إبداع. وانتشر الموال بنوعيه في مناطق الوجه البحري، حيث توافقت رُوحُه مع سكانها.

وإذا كان الموال قد لاقى توافقاً لدى الساحليين، ففي المقابل نجد أن المربع قد وجد صداه لدى بدهية الفلاح المصري.

وهذا الفن (المربع) استطاع أن يثبت ذكاء الفلاح، وخفة ظله، وهذا هو أساس هذا القالب الفني البسيط.

ومن الساحل والريف والحضر، ظل يبحث مبدعنا عن الموهوبين في أرجاء مصر، واستخراج أروع دررها، فكان مِن بين مَن اكتشفهم: محمد طه – إبراهيم خميس – فاطمة حسن – خضرة محمد خضر، التي أصبحت بعد ذلك شريكة حياته، وهي خير من عبّرت بصوتها عن هذا اللون الفني، إذ اشتهرت بقصة «أيوب وناعسة»، وهي من تأليف الحجّاوي جامع التراث الموسيقي.

ولقد تعددت سفراته وجولاته.. ومن الطريف أنه ذات سَفرة من سفراته البحثية التقى فيها الفنان صلاح جاهين، الذي خرج من هذا اللقاء بأوبريت «الليلة الكبيرة»، الذي يمثل – وحده – تراثاً معبِّراً

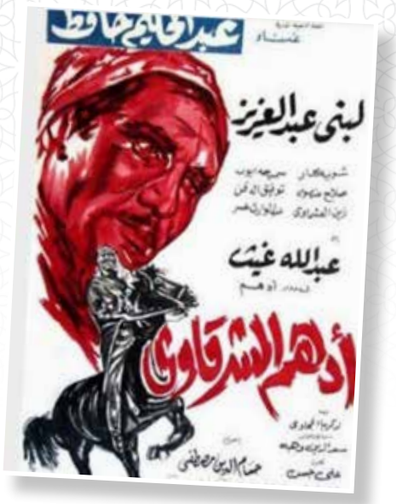

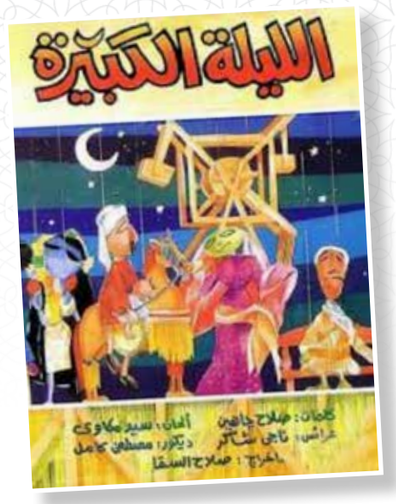

عن صنوف الطبقة الشعبية المصرية في أبهى صورها، وهذا بفضل استشاق جاهين للعبق الفني ذاته الذي أمدّه به زكريا الحجّاوي طيلة الرحلة. فكانت جوهرة الفن الشعبي «الليلة الكبيرة».

ولم تكن هذه هي المرّة الوحيدة التي يجد فيها الفنانون بغيتهم بعد التقائه ومصاحبته في ارتحالاته، فها هو الموسيقار عبدالحليم نويرة، وقد أراد أن يتعرف إلى موسيقى منطقة القناة ودمياط وشمال الدلتا، فلزم الحجّاوي حينما ألّف مجموعة متنوعة من الأغاني المستوحاة من التراث الشعبي، وعكف على تلحينها (نويرة)، حتى انبثق من بين أيديهما أوبريت «يا ليل يا عين»، الذي حطّم الفكر التقليدي عبر الإبداع، ليس هذا فحسب، بل إنه قُدِّم على مسرح الأوبرا، ذلك المسرح الذي لا يعترف إلا بالعروض العالمية، ولا يقدم إلا الموسيقى الكلاسيكية، ولكن الحجّاوي جعل للبسطاء حظّاً وافراً منه، إذ عبّر العرض عن حياتهم البسيطة بملابسهم ولهجاتهم وآلاتهم الموسيقية بصوت ثقافتهم.. وكانت هذه نقطة البداية، ليتدفق نهر إبداعي لا يتوقف، فأنشأ بعدها أول مركز للفنون الشعبية، ومسرح السامر، كما ابتكر سرادق الحسين الرمضاني، فكان من بين ضيوف هذا السرادق كبار الفنانين والسياسيين أمثال السيدة جيهان السادات وأندريه رايدر؛ لرؤية إبداعات الغناء الشعبي وآلاته.

وقد كان.. إذ ترك الحجّاوي وظيفته بالصحافة في (الجمهورية والمصري)، حينما قرر التفرغ للعمل في الفنون الشعبية، وعندما تأسست وزارة الثقافة عام 1957 استعان به الأديب الكبير يحيى حقي في جمع الفنون الشعبية وغربلتها.

ويعد الحجّاوي أول من قدّم أوبريت الفن الشعبي على مسرح الأوبرا، كذلك جمع نحو 72 ملحمة شعبية معبّرة عن الثقافة الجماهيرية التي كان أبرزها أيضاً المديح النبوي.

وكان للحجّاوي العديد من المؤلفات والدراسات

العلمية حول الفن الشعبي، منها «قاع النهر، يا ليل يا عين». كما قدّم للإذاعة أكثر من عمل إذاعي أشهرها: «سعد اليتيم، أيوب المصري، كيد النسا، ملاعيب شيحة». ومسرحية معنونة بـ«ملك ضد الشعب»، ومجموعة قصصية تحمل اسم «نهر البنفسج».

أما أبرز ما قدمه للتلفزيون من مسلسلات فكان «أدهم الشرقاوي»، «سيد درويش»، وقد قامت أسرته بوضع مقتنياته في متحف المركز القومي للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية، باعتباره واحداً من أهم الشخصيات وأبرزها التي أسهمت في تطوير الفن الشعبي.

إلى أن انتقل إلى دولة قطر؛ ليعمل مستشاراً بوزارة الإعلام القطرية، حيث أسس مركزاً تجميعيّاً للفنون الشعبية، وتوفي في قطر عام 1975.

وهكذا رحل الفنان زكريا الحجّاوي بعد أن ترك إرثاً أدبيّاً ضخماً للمكتبة الثقافيّة، ولقد كرّمته الدولة بعد وفاته، ومنحته شهادة تقديرية من أكاديمية الفنون، وأيضاً وساماً للعلوم والفنون من الطبقة الأولى. كما غيّرت اسم مسرح السامر إلى «مسرح زكريا الحجّاوي». وكما يبدو للقارئ من كل ما سبق، أن الفنان زكريا الحجّاوي سيظل قيمة من تراثنا تستحق البقاء.

الموروث الشعبي اليمني

ماجدة الشيباني
أستاذ مساعد بجامعة الحديدة - اليمن

اليمن ضمن البقاع التي شهدت فجر الحضارة الإنسانية، وقد توافرت فيها الشروط الطبيعية اللازمة لحياة الاستقرار، وهي وإن كانت خالية من الأنهار الكبيرة، إلا أن فيها الوديان التي تجري فيها المياه موسمياً على جانبي النطاق الجبلي الذي يمتد عبرها، وفيها القيعان الفسيحة التي تقع ما بين القمم الجبلية التي تعلو الهضبة اليمنية، هذا إلى جانب أنها دولة ساحلية من الدرجة الأولى، حيث إنها تطلّ على البحر الأحمر ومضيق باب المندب والبحر العربي، ما جعلها دولة تجارية ساحلية متعددة الموانئ، أشهرها عدن. وهكذا أسهمت التجارة والموقع الجغرافي بقسط وافر في ازدهار الحياة العامة لليمن.

والإبداع الشعبي القديم في اليمن صاغ تراثاً شعبياً متميزاً بين الدول والأمم، فالفنان عندما يتأثر بالتراث القومي، فهو يتأثر بالبيئة، وذلك لأن التراث من مقومات البيئة، وتعدّ الفنون التشكيلية بصفة عامة، بما فيها من فنون التراث، فنوناً بصرية، بل لها موسيقاها الخاصة أيضاً.

وقد أدرك الإنسان اليمني بفطرته منذ القدم ضرورة انسجامه مع بيئته وتجاوبه مع معزوفاتها الطبيعية، ففي المناطق الجبلية الباردة استطاع تكييف حياته وفقاً لمناخها، فبنى البيوت العالية ذات النوافذ الضيقة، والسقوف المنخفضة، ووضع لها هندسة معمارية خاصة، تمنحه اعتدال هوائها في أي من فصولها المناخية، ونسج ملابسه أيضاً من أصواف الأغنام وشعر الماعز ومن ألياف القطن والكتان، ولعله أدرك في مرحلة مبكرة أن تلك الحضارة لا يصنعها سوى تفاعله الخلاق مع المكان، وأن تواؤمه مع المكان سيجعله أكثر فاعلية لخطة سعيه إلى إنتاج حاجاته.

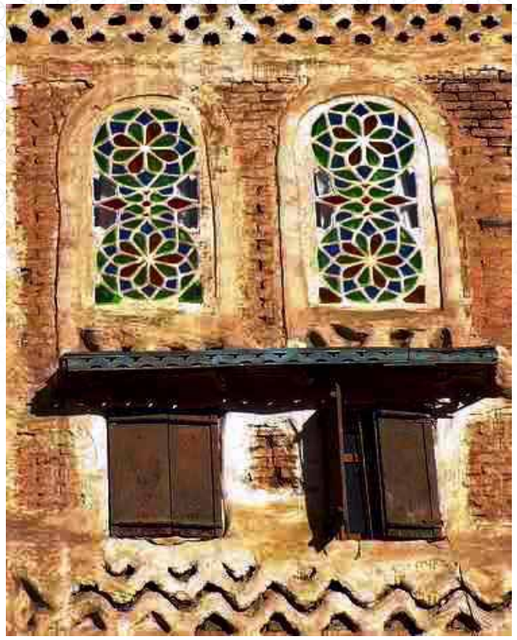

فالفنان الشعبي قد أبدع في أعماله من خلال تلخيص الحياة المحيطة به، والمتمثلة في العادات والتقاليد والموروث الحضاري الذي تتناقله الأجيال، جيلاً بعد جيل، وجسد البيئة المحيطة به، وعبر عن مجتمعه بشتى جوانب الحياة، بالإضافة إلى الطقوس الدينية والمناسبات الاجتماعية، وبهذا استطاع الفنان الشعبي في أعماله أن يضع ما يسمى بالموجز الشكلي؛ أي أنه لخّص الخبرات البصرية إلى رموز تجريدية.

ورغم التأثيرات الخارجية المختلفة، إلا أن الفنان الشعبي أثبت لنا في معظم أعماله أن تراث أمته مازال في ذاكرته، يرويه ويحكي تفاصيله من خلال الرسم على الجدران أو الفخار أو النسيج أو العمارة، فالفن الشعبي لسان الأمة الصادق، المعبر عن حاضرها وماضيها.

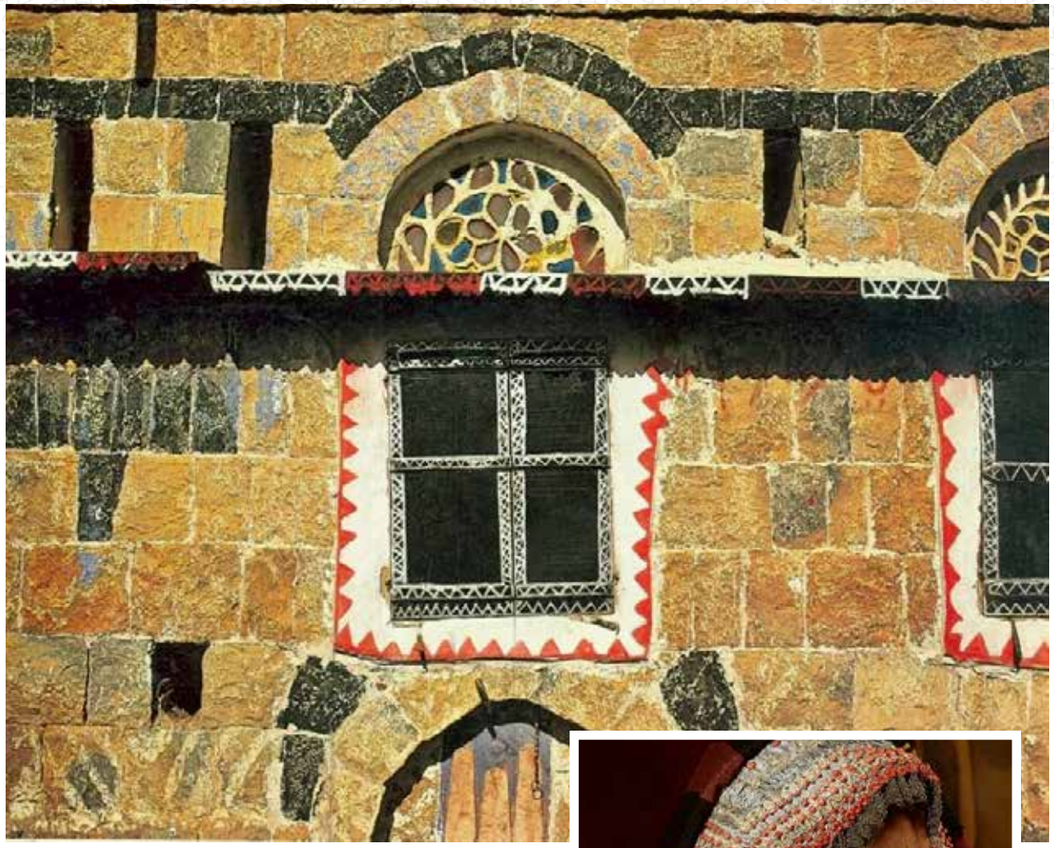

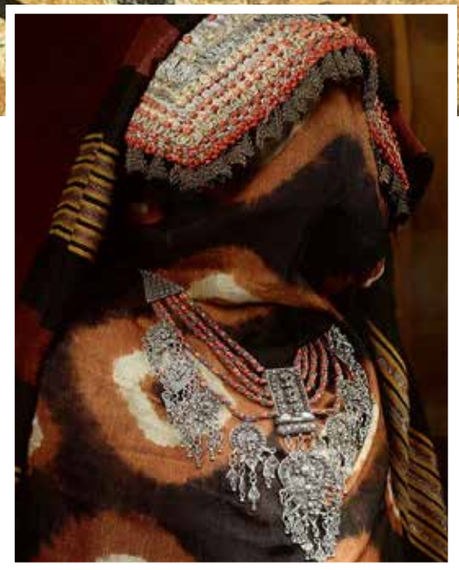

فلقد أبدع الفنان الشعبي اليمني في تحقيق القيم الرمزية التي كانت ملخصاً للخبرات البصرية، وذلك بالموجز الشكلي الذي كان يقوم به الفنان، من خلال طرح العمل الفني الشعبي، من دون وعي كامل أو دراسة منهجية للفن، بل جاء ذلك من حسه العالي بالعلاقات اللونية والخطية، فهو عندما يختار رموزه الفنية، ويقوم بتلخيص خطوطها في أشكال هندسية بسيطة، إنما يعمل على تجريد الشكل بتلقائية وعفوية في التعبير، وهكذا تبدو الفنون الشعبية بعناصرها التأليفية

كأنها مشهد مسرحي يقوم على قواعد إخراجية لمخرج متمرس لمثل هكذا أعمال فنية، بحيث يحقق الرؤية الجمالية للمتلقي، ويدرك الفنان الشعبي أنه يجب أن يصل بسهولة إلى المتلقي من العامة والبسطاء من الناس، فهم الجمهور الأساسي لأعماله ومصدر رزقه، فيقوم بتوضيح أعماله حتى لو اضطر إلى الاستعانة بالكتابة، فالاهتمام بالموروث الشعبي اليمني كونه يعدّ تاريخاً عميقاً، وكنزاً لا يفنى لأجيال سعت جاهدة نحو الرقي والتقدم الحضاري والإنساني، جعله متميزاً نوعاً وكمّاً عن بقية الموروثات الشعبية، وما يجب علينا هو أن نحافظ عليه ونقوم بتطويره عن طريق قراءته قراءةً مفصلة، وخضعه لدراسة

دقيقة للحفاظ عليه، ومحاولة الاستفادة من هذا أن التراث في مجمله هو الوعاء الذي تصب فيه الأمة خلاصة موروثها الثقافي وفلسفتها الفكرية والاجتماعية، فالتراث في دلالته الشاملة ليس سوى الفعل الإنساني الجميل الذي يشبع حاجة الإنسان الروحية والمادية، وهما شرطان ضروريان لتأكيد الانتماء إلى الأصالة الحضارية، وهي أيضاً المعايير التي تدل على الوحدة العضوية المتكاملة للعناصر المكونة للموروث الثقافي كشاهد لما كان يتمتع به الإنسان اليمني من صحة نفسية، وجمال روحي خلّدته مفردات جمالية، سواء أكانت رقصاً أم موسيقا، معماراً أم أزياء.

أولى محطات المسلمين في بلاد الأندلس..
جبل طارق.. أرض أوروبية بهوية عربية إسلامية

يحتلّ جبل طارق موقعاً جغرافياً استراتيجياً، فهو يعد أحد أهم البوابات الطبيعية للمغرب وإفريقيا المطلة على أوروبا، كما يعدّ نقطة التقاء هذه القارة بنظيرتها الإفريقية، زيادة على كونه أداة الوصل الوحيدة بين البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلنطي، وتزيد مساحته على (6 كيلومترات)، بلغ عدد سكانه حسب إحصاء (2014م)، (33140 نسمة)، موزعين على جنسيات متعددة (بريطانية، إسبانية، إيطالية، برتغالية، مالطية، مغاربية، فرنسية، نمساوية، صينية، يابانية، بولندية، دانماركية)، أما اللغة الرسمية للمنطقة فهي الإنجليزية، مع وجود لغات أخرى كالعربية والأمازيغية والإسبانية والبرتغالية والعبرية والهندية.

محمد العساوي
باحث في التاريخ والتراث – المغرب

تاريخ عريق يمتد إلى ما قبل الميلاد:

لقد اشتهر جبل طارق بأسماء عدة، مثل (جبل الصخرة، وجبل الفتح)، قبل أن يستقر به الحال على اسمه الحالي، تَيَمُّناً بالقائد الإسلامي طارق بن زياد، الذي نزل في هذه البقعة الجغرافية سنة (711م) فاتحاً بذلك بلاد الأندلس، ويُقَسَّم تاريخ جبل طارق إلى ثلاث مراحل كبرى، تسمى المرحلة الأولى بفترة ما قبل الفتح الإسلامي، حيث تعاقبت على المنطقة حضارات عريقة، بدءاً بالفينيقيين الذين استوطنوها قادمين إليها من شرق المتوسط منذ القرن العاشر قبل الميلاد، وظلوا فيها ما يقرب الألف عام، وجاء بعدهم الإغريق، ثم الإمبراطورية الرومانية الغربية، وبعد انهيار هذه الأخيرة وقع الجبل تحت سيطرة الوندال (القبائل الجرمانية الشرقية) في القرن الخامس الميلادي، ولاحقاً أصبح خاضعاً لحكم مملكة القوط الغربيين، إلى غاية سقوطه في يد المسلمين.

مرحلة الفتح العربي الإسلامي:

تبدأ المرحلة الثانية مع الفتح الإسلامي للمنطقة في (30 أبريل 711م)، على عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك، حيث أمر جيوشه بقيادة طارق بن زياد بالذهاب لضم الجبل كخطوة أولى للسيطرة على بقية أراضي الجنوب الإسباني، وخلال القرون الأربعة الأولى من الوجود الإسلامي بجبل طارق، لم يقع أي تغيير في هندسته العمرانية، لكن ابتداء من خضوعه للدولة المُوحدية، أقام سلطانها عبدالمؤمن بن علي الكومي سنة (1150م)، تصميماً معمارياً للجبل على شكل مدينة صغيرة، وحصَّنَها بسور عظيم.

وبعد نهاية الوجود الموحدي أخضعت مملكة غرناطة جبل طارق إلى غاية عام (1309م)، حيث قامت حينها القوات الإسبانية بغزو المدينة التي استمرت في حكمها إلى غاية سنة (1333م)، ليتم ضمها من جديد إلى الحكم الإسلامي بقيادة الدولة المرينية التي تركت بدورها بصمات تاريخية خالدة، مازالت تشهد على هذه الحقبة، من أهمها التحصينات العسكرية التي شيّدها السلطان أبي الحسن المريني، وفي هذا الصدد يقول الرحالة ابن بطوطة الذي زار المنطقة خلال القرن الـ(14م)، ودونّ ما شاهده في كتابه «تُحْفَة النُّظَّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» ما يلي: «وأول بلد شاهدته من البلاد الأندلسية جبل الفتح، فَلَقَيْتُ خطيبه الفاضل، وتَطَوَّفْتُ معه

منظر عام لشاطئ وبنايات المدينة

منظر عام لجبل طارق

قلعة أوهارا

كهف سانت مايكل

المتوسط بشكل عام وجبل طارق بوجه خاص، ولما وقعت حرب وراثة العرش الإسباني بين الدول الأوروبية (1702–1715م) بعد وفاة ملك إسبانيا كارلوس الثاني، اقتنعت بريطانيا بأنها فرصتها التي كانت تنتظرها، وهو ما حصل باستيلائها على جبل طارق عام (1704م)، ثم كرست احتلالها بشكل رسمي، إثر توقيع اتفاقية أوتريخت بهولندا سنة (1713م)، ورغم استعمال إسبانيا مختلف الوسائل والآليات، بهدف استرجاع المنطقة، إلا أن سكانها ظلوا متشبثين بأن تظل مدينتهم مستقلة ذاتياً تحت الوصاية البريطانية.

تراث طبيعي وأثري ضارب في التاريخ:

تتميز مدينة جبل طارق بمشاهد طبيعية خلابة، وفي مقدمتها شاطئها الذي ينفتح على الجبال، مما يعطي أجواء فريدة تستهوي عشاق السياحة البحرية، ثم ميناؤها الذي يتميز بحركية دائمة، سواء بالسفن السياحية أو التجارية، إضافة إلى محميتها الطبيعية التي تشكل (40%) من مساحتها، وهي تضم فصائل متنوّعة من الحيوانات والنباتات.

كما تزخر بمعالم أثرية تؤرخ لحضارات ضاربة في القدم، مثل مغارة «سانت مايكل» التي تم اكتشافها على الجبل، فرأيت عجائب ما بنى مولانا أبي الحسن»، وفي عام (1374م) أعاد المرينيون جبل طارق لمملكة غرناطة التي احتفظت به إلى غاية سقوطه بيد الإسبان عام (1492م)، وبذلك انتهى الوجود الإسلامي بالمنطقة الذي دام ثمانية قرون.

مرحلة السيطرة الأوروبية:

أصبح جبل طارق بعد طرد المسلمين منه تابعاً للتاج الإسباني من سنة (1492 إلى 1704م)، وخلال هذه الفترة الزمنية تراجعت وتدهورت أهميته، بسبب انشغال الإسبانيين بالكشوف الجغرافية، وفي المقابل بدأت بريطانيا تهتم بالبحر الأبيض

لحظة وصول المسلمين إلى جبل طارق - رسم افتراضي

لأول مرة خلال القرن الأول الميلادي، وهي تقع على ارتفاع (274 متراً)، ومن بصمات الحضارة العربية في المدينة نجد القلعة المغاربية التي بُنيت خلال القرن الثامن الميلادي، والتي تم ترميمها وإعادة هيكلتها في القرن الرابع عشر، ولم يتبقَّ منها اليوم سوى البرج والبوابة، وبعض أجزائها

لحظة وصول طارق بن زياد إلى الجبل - صورة افتراضية

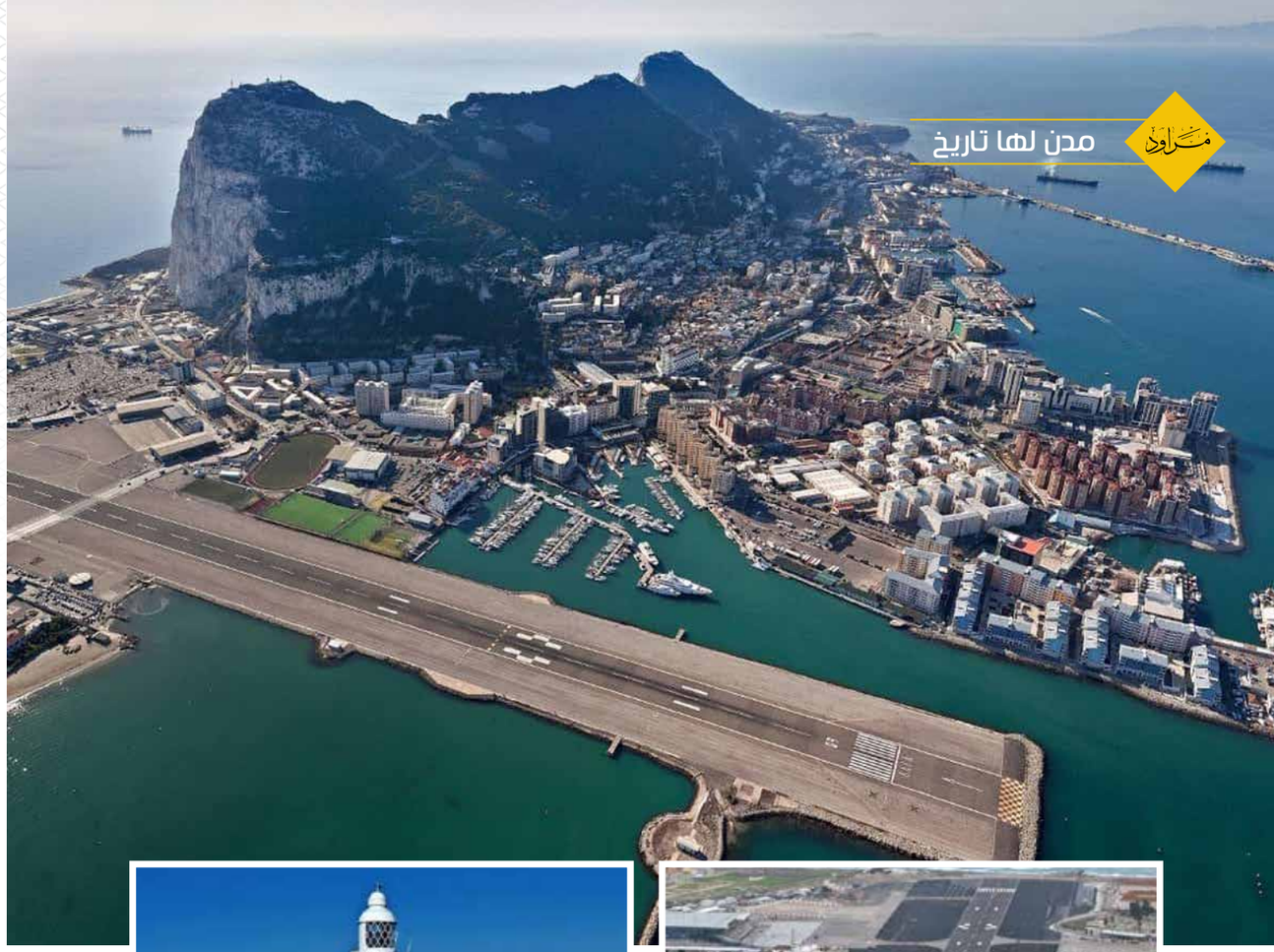

منارة المدينة

مطار المدينة

الداخلية، ولا ننسى السور الموحدي والتحصينات العسكرية المرينية.

وهناك مآثر أخرى لا تقل أهمية مثل ساحة البلدة القديمة (ساحة كاسيماتيس) التي تضم مقاهي ومطاعم ومتاجر عدة، وقلعة أُوهَارا التي شيدت في قمة الجبل خلال القرن الـ(19م)، وللحفاظ على الموروث المحلي أُنشأت السلطات البريطانية متحف جبل طارق سنة (1930م)، الذي يزخر بتحف تاريخية وفنية تعود للحضارات والدول التي تعاقبت على حكم المدينة.

الحضور الإسلامي في جبل طارق:

يشكل المسلمون في جبل طارق نحو (3.6%) من مجموع الساكنة، ولهم معلمة دينية مشهورة متمثلة في مسجد إبراهيم الإبراهيم، المعروف أيضاً باسم مسجد الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، الذي شيّده عاهل المملكة العربية السعودية عام (1997م)، ويحتوي على مرافق عدة، منها المركز الإسلامي الذي من مهامه ما يلي:

- إعداد مواقيت الصلاة وإعلانها وتوزيعها.
- توزيع المصاحف الشريفة.
- إعداد دروس دينية يومية وأسبوعية ورمضانية.
- إبرام عقود الزواج والطلاق وإشهار الإسلام.
- الإشراف على الأحوال الشخصية للمسلمين، وكذلك المقبرة الإسلامية.
- تعليم اللغة العربية.
- الإشراف على مكتبة إسلامية متنوّعة.

وبهذا فمدينة جبل طارق، رغم كونها أرضاً أوروبية، إلا أن هويتها العربية الإسلامية مازالت واضحة للعيان، من خلال تاريخها ومآثرها وسكانها واسم فاتحها.

مسجد إبراهيم الإبراهيم بجبل طارق

المصادر والمراجع المعتمدة:

- اللواتي الطنجي شمس الدين أبو عبدالله، «رحلة ابن بطوطة» المُسماة بـ«تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، تقديم وتحقيق: الشيخ محمد عبدالمنعم العريان، مراجعة وإعداد الفهارس: مصطفى القصاص، ج.1، دار إحياء العلوم، بيروت، ط.1، 1987م.
- العبادي أحمد مختار، «دراسات في تاريخ المغرب والأندلس»، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، من دون تاريخ.

الصور: مأخوذة من الموقع الإلكتروني: www.pinterest.com

رحلة الهيمان إلى مدارج خورفكان

محمد نجيب قدّورة
كاتب وباحث – فلسطين

1. الطريق إلى خورفكان:

الاسم مركب تركيباً مَزجيّاً حسب قواعد اللغة العربية، فهو مثير فني في تصور المشهد، كان ذلك عام 1990، عندما حللت الإمارات مدرّساً في أم القيوين، حيث في خورفكان خالي وابن عمتي مدرّسان، ولأني شاعر متعلق بجمال الطبيعة، اقترحت على نفسي وحدي أن أمتطي سيارة أجرة عابراً قرية (السرّة)، متوجهاً إلى فلج المعلا، فالذيد؛ لألاقي أشجار الغاف الخارجة من رمال تذروها الرياح، تعقبها مزارع نخيل تحمل فاكهة البقاء، لكن الذيد أسرتني بجمالها، فترجلت وتجولت لأرى ما في المكان من أعاجيب الزمان التي تقول لي: أصابع الرحمن خطت كتابات في الوديان، عندما انهمرت أمطار ترسخت في أغوار، أوحت للإنسان أن تعال، وحط رحالك واستقر هنا، ولك الأمان...

أجل كان لابدّ أن أتابع المسير إلى مسايف، وتبدأ السيارة صعوداً وهبوطاً وانحناءً، وكلي شوق أن أبلغ المنى، فما انقادت الآمال إلا لصابر، دخلت الفجيرة،

قرأت: الطريق إلى عين مضب.. كنت في عجلة من أمري، وكان خالي وابن عمتي ينتظران قدومي بفارغ الصبر، استدللت على العنوان، ثم حدّثاني عن الجبال والوديان، وعن مدرسة الخليل بن أحمد الفراهيدي، وعن تشكيل خريطة خورفكان.. تجولنا طائفين بينما أنا أسمع قرارة نفسي تجري مساجلة بين الرمال والحصى، وما في القيعان من المرجان، ولم أنس مناجاة الفكين الصخريَّين اللذين أحاطا بالخور، فنتج عن تمازجهما اسم مدينة هي ما هي في الموقع والتاريخ وأصل الإنسان. المشهد يبدو الآن أوضح، حيث تطفو جزر من الصخور على بساط الموج كأنها سفن كالأعلام، تمسك بتلابيب الجبال الشامخة...

2. جولة ميدانية:

وعلى هامش الحديث، طرحنا على مائدة النقاش أحوال الناس من مستقرين ومسافرين، من راسخين في جذور الأرض ومن عابرين، فسترجع حكايات الغزو من رؤية برج (العدواني) قرب الميناء، ثم برج (الرابي) في مدخل خورفكان، المبني من جصّ وطين، إلى أن وصلنا إلى برج (العويل)، قرب قرية (الولية)، وهو برج حجري، كان المسلك مصحوباً بالإشارات إلى الأماكن: هذا وادي شي، وذاك جبل شيص، وهذا جبل قصر الشيخ... ثم مررنا على أودية فيها الأشجار المثمرة؛ لنرى قرية (الوريعة) في واديها، ومنظر الشلال المتساقط، فتهتاج شاعريتي بقولي ارتجالاً:

برج العدواني

أما حننت إلى خورفكان؟ قلت: بلى، وقال لي الدكتور عبدالله الطابور: ابدؤوا بشمل ثم عرجوا على القصيدات، واقصدوا الحيل والفحلين سالكين الطريق إلى أذن والغيل، سترون كم سهول الحصى والرمل الأحمر صالحة للزراعة، وكم هي خضرة الربيع مبهجة، لم أخيب نصح صديقي.

كانت زوجتي مدرّسة في قرية (الحمرانية) الجميلة، فكان لابدّ أن أري أبنائي المدرسة التي تعمل بها

يا لواد في الوريعة قد غبطناه ربيعه
ما تقولون بواد فيه شلال الشريعة
اسمعوا يا ناس قولي: ذاك قلبي لن أبيعه

كنت أعرف من مطالعاتي وصفاً لابن بطوطة وياقوت الحموي في البلدان، كالحديث عن (خورفكان)، حيث الجبلان يخترقان البحر، لتكون البلدة في حضنهما بشاطئ رملي على سيف البحر، ومرجان حيوي تحت الماء، يصلح مسكناً لمخاليق البحر... قال خالي الأستاذ حسين: لا أطيق فراق خورفكان منذ ثلاثين عاماً، أما ابن عمتي خالد فقال: سيسعد أبناؤك عندما يصلون من حلب.

3. وكان يا مكان:

لم تكن رحلتي الأولى إلى خورفكان إلا البداية، أخذت نفسي تحدثني بعدما صرت مدرّساً في رأس الخيمة، ها هم أبناؤك معك الآن، فلست وحدك،

زوجتي؛ لأشعرهم كم هي تبذل من جهد في الوصول والرجوع إلى حي (دهان) في رأس الخيمة، ولا بأس أن نتوقف لنعرفهم بالأشجار والأعشاب والطيور، ثم سلكنا الطريق المخرج يميناً إلى قرية الساعدي، مسقط رأس حكيم الشعر ابن ظاهر، رأيت المباني الحديثة، فكان عليّ أن أتخيل مضارب البدو، وأرى بأم عينيّ الجمال ترعى ما تيسّر مما تنبت الأرض بعد رعد وبرق وهطول.

وكان الطريق إلى خورفكان هذه المرة محاذياً للذيد، متجهاً إلى اليسار في المنعطف، واللافتة تشير إلى الفجيرة وخورفكان ودبا، في هذه الرحلة لم يستغرب أبنائي رؤية الجبال؛ لأنهم رأوا أمثالها قبالة الرمس وشعم في رأس الخيمة، وقتذاك قلت لهم: سترون مثل هذا المنظر عندما نذهب إلى خالتكم في خورفكان.. بحر آسر وجبل شاهق ونخيل باسق.. تلك النظرة كانت في شمل ونحن فوق قصر (الزباء).

حديقة شيص

شلالات خورفكان

توقفنا على الطريق للاستراحة من وعثاء السفر، ولنتزود ببعض (المانجا) و(التمر) و(الماء)، كان الأولاد يتخوفون من ضيق الطرقات، ومفاجآت تساقط الصخور، ومع أني طمأنتهم فعيونهم في شده ودهشة مما يرون من صخور ناتئة كرؤوس الرماح والمدافع. قلت لهم: خضراء الإمارات ستزحف إلى هنا، حيث ستوسع الشوارع والمزارع، وتصنع المدرجات وتشجر، كما رأيتم ذلك في الفلبين وسوريا.. أعتقد أن الحكام هنا طموحاتهم بلا حدود.

كان همّ الأولاد أن يصلوا إلى خورفكان، لكن النعاس غلبهم، فلم يروا لحظة وصولنا خورفكان عبر الفجيرة، ولما صحوا قالوا: الطريق طويل، ألا يوجد طريق أقصر من رأس الخيمة إلى خورفكان؟ قلت: المشروع قائم لشق الطريق من مفرق أذن إلى دبا فخورفكان (وكان ما كان).

4. في ذلك الزمان:

التقت الأسرة واجتمعت من العين ودبي والشارقة ورأس الخيمة، وأهلنا في خورفكان، الجلسة على بساط من العشب الأخضر مظلّلاً بأشجار النخيل.. البحر من أمامنا، والجبل من ورائنا.. ومع صغر الشاطئ الرملي، إلا أن الأولاد سرعان ما شقوا طريقهم إلى البحر والألعاب.. أما نحن الكبار، فكانت الأحاديث لا تنفك تستعيد الذكريات عن رأس البسيط والشط الأزرق في اللاذقية، وعن استحضار صور الجبال الخضر، للصقها على جبال خورفكان الممتدة يمنة ويسرة. كنا نتأمل الناس في سعادتهم وفرحتهم، حيث شاطئ خورفكان (في ذلك الزمان)، كان لا يضاهى في نظافته ولطف أجوائه، ومستوى روّاده وقصّاده ممن يشعرون بقيمة المكان جمالاً وتاريخاً، وأعتقد (منذ تلك الزيارات) أن لخورفكان مستقبل زاهر فيما هي تمتلك من مزايا في الجبال والوديان، وزوايا البحر.

5. خواتم في حضن البحر:

الأطفال عادة يفقدون أشياءهم الثمينة، فهم لا يقدرون قيمتها حسب مستواهم العقلي.. لكن عندما يضيع منهم خاتم أو عقد أو أسوارة، فالضائع عزيز، ولابدّ من إحداث حالة القلق قبل مغادرة المكان.. ابنتي رلى كانت من هؤلاء.. لكنني استطعت إسكاتها بعبارة هذه البحيرة كلها لك، وسأذهب إلى ذلك البائع لأدفع ثمنها.. لا تخافي لن يستطيع أحد أن يحصل على الخاتم... وهنا تذكرت حكاية قيصرية قديمة في البحر الأسود، بعد فقدان الأميرة خاتمها، ووعد الأمير لها بشراء البحر ورماله، أما أنا فللحقيقة أني دفعت ثمناً لرمال البحر في الإمارات، إنه الحبّ والإحساس بأن لي في هذه الأرض ما أبحث عنه.. أو لعله يبحث عني.. سواء أكان عقيق جبال أو لؤلؤ مغاصات.. فما أروع الأرض التي تحتفظ في ذاكرتها بصورة لي! بل ما أغلى الذاكرة التي تنسج في خلاياها أثواب الوفاء في رحلة الهيمان إلى مدارج خورفكان.

6. تتحقق الأحلام:

في قنوات الشارقة جمعاء، كنت أسمع عبارة لبيك خورفكان، فأرى المنجزات شوارع وأنفاقاً ومسارح وأحلى إطلالات وأهنأ استراحات! فهنيئاً يا جبل الرمان والسحاب والكتاب، في أن شيخ البلد صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، كان سعيداً بتحقيق طموحاته ومشاريعه، تكملةً لنظرته الثاقبة في أن يكون التركيب المزجي لاسم خورفكان مؤدياً معناه في موسوعة المعجم التاريخي، فلا عجب إن سمعنا شدوا على لسان خورفكان يقول: لبيك يا سلطان.

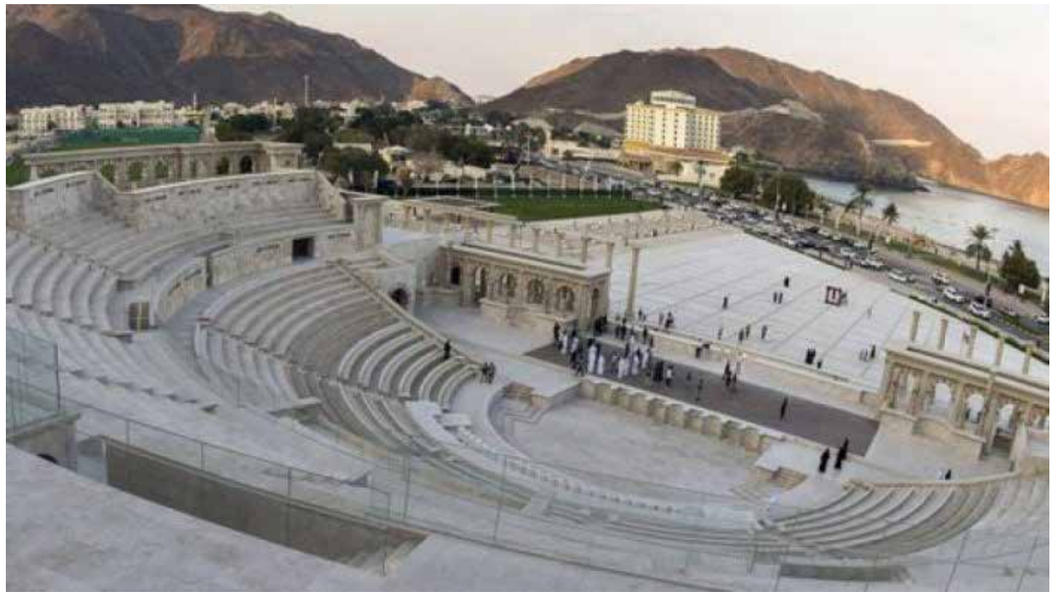

فَنُّ القَطْ العَسِيري

مشاهد من إبداع المرأة السعودية

أ.م.د/ محمد أحمد عنب
أستاذ الآثار الإسلامية المساعد
بكلية الآثار – مصر

تملك الجزيرة العربية موروثاً حضارياً وثقافياً متنوّعاً، وتتميّز منطقة عَسِير الواقعة في وسط الجزء الجنوبي الغربي من المملكة العربية السعودية بتراثها وموروثها المعماري والفني الرائع، وتعكس العمارة التقليدية في عَسِير العديد من القيم الفنية والجمالية والزخرفية؛ حيث امتازت بفنونها الشعبية التراثية.

يُعتبر فن القَط أحد الفنون الشعبية التقليدية التي اشتهرت بها نساء منطقة عسير في تزيين جدران المنازل الداخلية، وأصبح هذا الفن أسلوباً إبداعياً، يعكس تاريخ المنطقة الغني، وهويتها الأصيلة، ويمتاز بثرائه الزخرفي، وبأشكاله الفنية المتنوعة التي تحمل دلالات رمزية وحضارية، وقيماً جمالية بديعة، ونظراً للأهمية الكبيرة لهذا الفن، تم إدراجه في القائمة التمثيلية الخاصة بالتراث الثقافي غير المادي لدى منظمة اليونسكو عام 2017م.

مفهوم فن القَطْ:

هو أحد فنون النقش والزخرفة التقليدية، ويستخدم لتزيين جدران المنازل الداخلية في عَسِير، وتُعني كلمة (قَطْ) في معاجم اللغة العربية؛ (خَط) أو (نحت) أو (قطع)، حيث يعتمد هذا الفن بشكلٍ أساسي على نحت ورسم الخطوط والأشكال الهندسية المتنوّعة، وتلوينها بالألوان الزاهية، ويُعتبر فن القَطْ أحد الفنون النسائية، إذ تُمارسه غالبية نساء منطقة عَسِير، وقد تفنّنت النساء في تزيين الجدران الداخليّة للمنازل، وبالتحديد غرف الضيوف، إذ تُرسم أشكالاً متناسقة على جدران الغرفة بالألوان البرّاقة الجذّابة، ولا يقتصر فن القَطْ على زخرفة الحوائط المعمارية فحسب، بل تعدّى ذلك إلى توظيف هذا الفن على أغلب مصنوعات المنطقة التقليدية كالفخار والنسيج وغيرهما.

تاريخ فن القَطْ:

لا يوجد تاريخ محدّد لهذا الفن، حيث يرجع استخدامه منذ القدم، وتُعتبر نساء عَسِير من أول من بدأ ابتكار فن القَطْ المستوحاة زخارفه ونقوشة الشعبية من البيئة المحلية، ولا يُعرف من هي أول من ابتدعت هذا الفن، فقد نشأت الفنّانات الشعبيات في عَسِير منذ قديم الزمان على فن القَطْ، متوارثات ذلك من أمهاتهن وجداتهن، وتعدّ المراقبة والممارسة أسلوبين رئيسين لتناقل المهارات الفنية بهذا الفن، ولايزال هذا الفن متوارثاً إلى وقتنا الحاضر، حتى أصبح جُزءاً من الهوية والموروث الثقافي لعَسِير[1]،

وقد عرفت الفنّانات الشعبيات اللواتي امتهنَّ فن القَطّ باسم (القطّاطات)، ومن أشهرهن الفنّانة الراحلة عائشة بنت عبدالكريم بن محمد مرزن، والتي تُعرف بعائشة بنت هندي، وهي فنّانة سعودية من قرية العُكَاس التُراثية، وتتبع مدينة أبها بعَسِير، وتعتبر من أوائل من امتهنَّ فن القَطّ على مدى لا يقل عن 80 عاماً، وخلّفت لوحات بَديعة لفن القَطّ، وأيضاً الفنّانة فاطمة بنت علي أبو قحاص، والفنّانة فاطمة فايع الألمعي وغيرهن كثير[2].

وتُعتبر قرية رجال ألمع التراثية الواقعة جنوب غربي المملكة العربية السعودية، والتي تتبع الآن منطقة عَسير، من أوائل القرى التي شهدت نشأة فن القَطّ، واستمرت في الحفاظ عليه حتى اليوم، وهي تتميز بعمارتها التقليدية وبمبانيها الحجرية ذات الطوابق العالية، وبفنونها الشعبية القديمة.

طريقة تنفيذ فن القَطْ:

تُسمى عملية تنفيذ القَطّ بالتقطيط، ولا تبدأ سيدة البيت عملها في تزيين الجدران الداخلية إلا بعد أن ينتهي الرجل من دوره في البناء، وتثبيت النوافذ والأبواب، فتقوم هي بتنعيم الحوائط الداخلية، ثم تغطيتها بطبقة من الجص تُسمّى بلهجتهم المحلية (صهاراً)، وبعد جفافها تقوم سيدة البيت برسم خطوطٍ أولية للزخارف يُسمونها (قَطاطاً)، وتُرسم بشكلٍ تدريجي في الثلث الأسفل بطول الجدار، وكانت تقوم بتزيين النوافذ والأبواب والأرضيات، وتضع نقاطاً ملوّنة تمثل لون كل جزء؛ حيث تُلوّن بعدد من الألوان الطبيعية من البيئة المحلية، وتتجلّى عبقرية المرأة العَسِيرية وإبداعها في مزج الألوان الأساسية بتناغم وانسجام بديع، وكانت تشترك في رسم هذه الزخارف وتلوينها صديقات سيدة البيت وقريباتها.

إبداع النساء العَسِيرات في فن القَطْ:

أظهرت نساء عَسير قدرة فنية عالية الدقة، وخبرة كبيرة في فن القَطّ، وفي تنفيذ زخارفه وتلوينها بأسلوبٍ رائع، فلقد كانت النساء في عَسِير تتشارك دائماً مع الرجال في البناء والزخرفة، فتقمن بمساعدة الرجال في إتمام بناء البيوت، ولقد كان البيت هو محور اهتمام المرأة العَسيرية، وقد أولت اهتماماً خاصاً بزخرفته من الداخل، وتحضير الخامات التي تساعدها في عملية التزيين؛ حيث تفنّنت في استخدام أدوات ومكونات موجودة في بيتها، وحولتها فاستخدمت ذيل الأغنام بشكل يُشبه فرشاة الرسم[3]، وأظهرت براعةً كبيرة في مزج الألوان المُستخلصة من الطبيعة والصديقة للبيئة؛ لتزيين الجدران الداخلية للبيت العَسِيري كمرآةٍ تعكس ذوق المرأة العَسِيرية وحسها الفني، ويُعتبر فن القَطّ فناً جماعياً تقوم به المرأة العَسِيرية بمساعدة قريباتها وصديقاتها، وهو ما يعمل على توطيد أواصر العلاقات الاجتماعية والتضامن بين النساء في المجتمع العَسِيري، وبعد الانتهاء من تزيين البيت تقوم سيدة البيت بالاحتفال، وترديد الأهازيج الشعبية، وإقامة وليمة كبيرة.

وقد لعبت المرأة العَسِيرية الدور الرئيس في تتبُّع هذا الفن ونقله عبر الأجيال والحفاظ عليه، ومازال فن القَطّ موجوداً إلى يومنا هذا، وتعدّى ذلك بتوظيف فن القط العسيري لتزيين المصنوعات الفخارية، وأشغال الزجاج والنسيج وغيرها، لتقم الفنّانات المعاصرات بدورهن لإكمال مسيرة من سبقنهن في هذا الفن، وتركن ورائهن شواهد زخرفية، عرفن وتميّزن بها عن غيرهن، حتى وصل هذا الفن للعالمية.

الموضوعات الزخرفية لفن القَطْ:

اعتمد فن القَطّ في الوحدات الزخرفية النابعة من معطيات بيئته، والتي تستوحي أبعادها ودلالتها من الثقافة المحيطة، وتتسم هذه الموضوعات بالتجريد والبُعد عن التصوير، وتتميّز بالتنوّع الجمالي واللوني المُميّز، وكأنها لوحات تشكيلية بديعة، وقد قال عنها الكاتب الفرنسي تييري موجيه: «إذا كانت المتاحف بيوتاً تؤوي لوحات، فكل بيوت عَسِير هذه متاحف»[4]، وتقوم موضوعات فن القَطّ الأساسية على الوحدات الهندسية المُجرّدة، والزخارف النباتية والأشكال الرمزية المُتنوّعة، وتُعد الخطوط الأفقية الطولية المتوازية أكثر الزخارف شيوعاً، واستُخدمت الخطوط المُنكسرة والمنحنية[5]، ومن عناصره المُميّزة ذات الدلالات الرمزية؛ عنصر «البَنَاهْ أو البنات»، وهي عبارة عن أشكال مثلثات متراصة رأسها لأعلى، وتأتي غالبا أعلى نقش القَطّ؛ وعنصر «الأرياش»، ويأتي على شكل نباتات فوق عنصر البَنَاهْ، وعنصر «المحاريب» ويرمز للجانب الديني للمجتمع العسيري، وعنصر «الركون»، وهو عبارة عن أشكال مثلثة كبيرة متجاورة، وعنصر «البلسنة»، وهو عبارة عن دوائر صغيرة ومنقوطة، وعنصر «الأمشاط»، وهو خطوط متوازية تتجه لأعلى ولأسفل، وكأنها أسنان المشط،

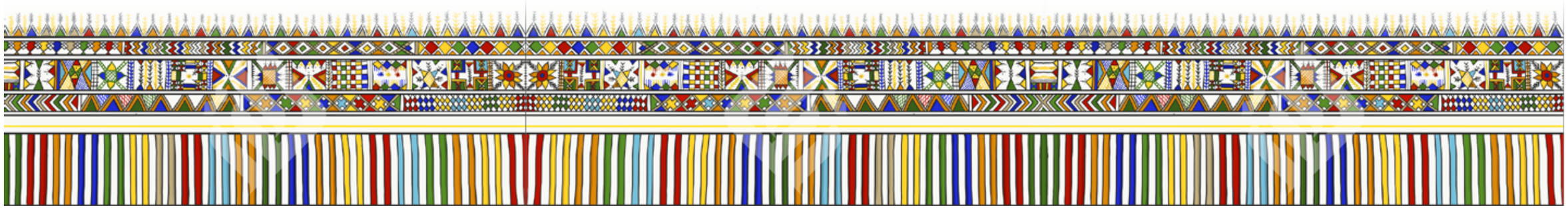

وعنصر «التعذيق» وهو عبارة عن ثلاث نقاط تُشبه عذوق الذرة، وعنصر «المثالث والمخامس»، ويتكون من ثلاثة أو خمسة خطوط متوازية، تأتي أسفل نقش القَطْ، وعنصر «الكف» وهو خطوط متوازية مختلفة الألوان في أسفل جدار الغرفة، وعنصر «الشبكة» ويتشكل من خطوط رأسية وعرضية متقاطعة مكونة شبكة هندسية تحصر بداخلها معينات ومربعات متداخلة[6].

فن القَطْ.. فن ألوان الطبيعة:

يتميّز فن القَطْ باستخدامه الألوان والصبغات الطبيعية ذات الأصل النباتي والمعدني المستخلصة من الأحجار الكلسية أو من الطِينات المُلوّنة أو بعض النباتات والثمار، حيث كانت نساء عَسِير تقوم بتحضيرها، وذلك بطحن هذه المواد حتى تُصبح مسحوقاً ناعماً، ثم تقوم بإضافة المواد المُثبّتة والمُلمّعة إليه؛ حيث يضفن إليه الراتنج ليُصبح الخليط الناتج لزجاً، وأكثر تماسكاً وسريع الالتصاق، ويُضفي هذا الخليط على الجدران مظهراً لامعاً وناعماً، وبعد ذلك يتم تلوين هذه الطبقة بمختلف الصبغات، أمّا في العصر الحديث، فاستخدمت ألوان جاهزة الصنع على شكل مساحيق تستورد من بعض الدول المجاورة، كما استخدمت أيضاً الألوان الزيتية.

العالم الفرنسي تييري موجيه و فن القَطْ:

يُعتبر عالم الأنثربولوجيا والكاتب الفرنسي تييري موجيه Thierry Mauger أحد الباحثين الذين درسوا فنون النقش والعمران في منطقة عَسِير، وأعجب بشكلٍ خاص بفن القَطْ، وقام بتوثيقه، فيقول عنه في كتابه الشهير «الجزيرة العربية..

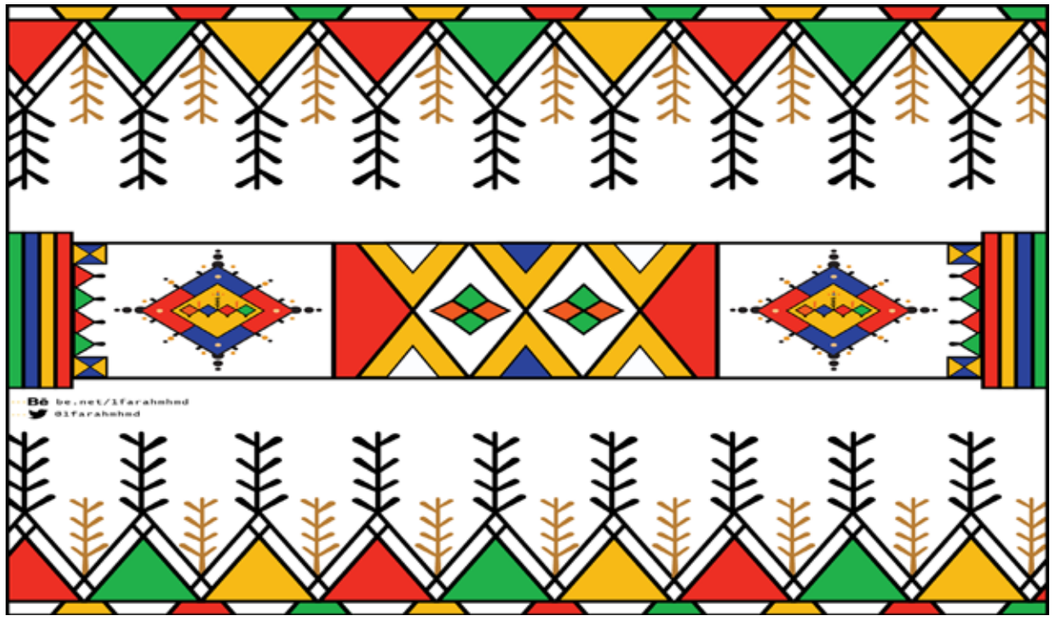

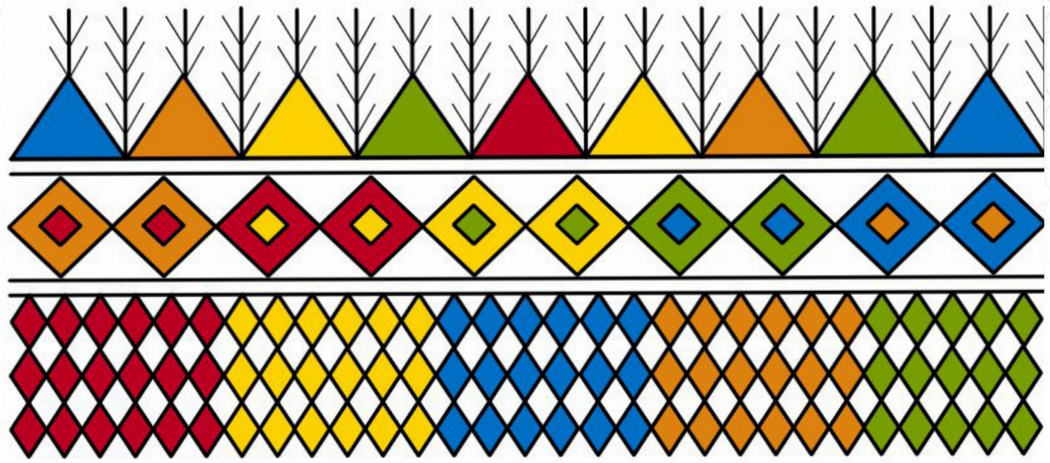

حديقة الرسامين»؛ «لا تأبه منطقة عَسِير الواقعة بجنوب المملكة العربية السعودية، والتي تتمتّع بتراثٍ معماري وتجميلي فريد واستثنائي، للأفكار النمطية المُسبقة التي تتراكم في مَخيلة الغرب؛ فأبنيتها الصخرية مُزخّرفة برسوم من حجر المرو، صُمّمت وفق نماذج هندسية أو نباتية، تستقبل الزائر بواجهات مرقشة بمنتهى الروعة، وأحزمة متمازجة من الألوان الجريئة، أقواس قزح برّاقة، طقوس من الألوان المُنضدة بانتظام»، ويُضيف قائلاً: «إنّ هذه التصاميم الخارجية ليست إلا غلافاً يخفي في داخله مهرجاناً من التصاميم مُتعدّدة الألوان، يُغطّي الجدران والسقوف والأبواب، وكأن بيوت عَسِير تلتهم الألوان بنهم، والفضل في ذلك يعود لنساء المنطقة اللواتي يُزيّن بيوتهن بالعفوية التي يشدو بها البلبل الغريد»[7].

وأخيراً، فإن فن القَطْ أصبح جُزءاً أصيلاً من الهوية والموروث الشعبي لمنطقة عَسِير، مُعبّراً عن الثقافة والبيئة المحلية المملوءة بالألوان والحياة، وكانت المرأة العَسِيرية هي مفتاح السر في نجاح هذا الفن والحفاظ عليه ووصوله للعالمية.

1- يسري سعيد القحطاني، جماليات القط العسيري ودوره في إثراء الإنتاج الفني المعاصر، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع4، مج3، إبريل2019م، ص79.

2- هنا بنت محمد اليزيدي، غابت عائشة ومازال نقشها حاضراً: فن القط العسيري الأصيل من خلال رائدته عائشة، ص10-11.

3- خالد الشهري، فن زخرفة العمارة التقليدية بعسير دراسة فنية جمالية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم القرى، 2008م، ص155.

4- تيري موجيه، الجزيرة العربية حديقة الرسامين، ترجمة معجب الزهراني، الرياض، 2009م، ص 19.

5- فادية هشام، فلسفة القط العسيري ودور المرأة في نقل الموروث الثقافي الحرفي لإثراء المعلقات النسيجية وتنشيط التسويق السياحي السعودي، المجلة العربية للعمارة والفنون الإسلامية، مج4، ع15، مايو ويونيو 2019م، ص469-470.

6- يسري القحطاني، جماليات القط العسيري، ص79.

7- تيري موجيه، الجزيرة العربية حديقة الرسامين، ص19.

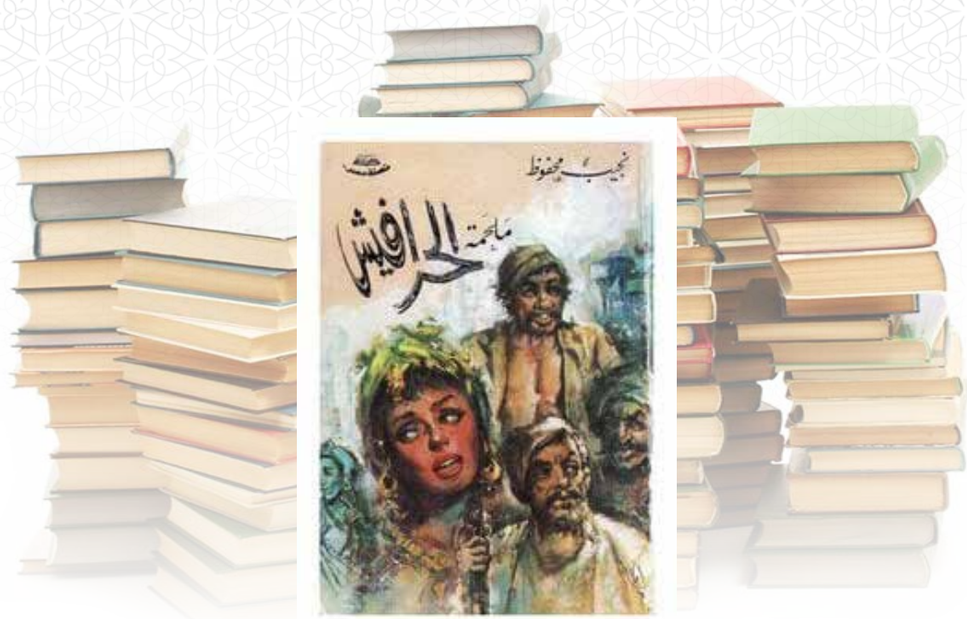

الرواية العربية والتراث

«ملحمة الحرافيش» أنموذجاً

يعرّف هيغل الرواية بأنها «ملحمة برجوازية حديثة، تعبّر عن الصراع بين شعر القلب، ونثر العلاقات الاجتماعية»، وهذا يعني أنها تجمع بين القديم والجديد، فهي فن حديث تزامن نشوؤه ونشوء الطبقة البورجوازية في الغرب، ولكن هذا الفن لم ينشأ من فراغ، وإنما تمتد جذوره إلى الماضي، حتى نصل إلى الملحمة التي اعتبرها النقاد الأب الحقيقي للرواية[1].

هشام بن الشاوي
كاتب – المغرب

كانت الملحمة تهتم بصراع الإنسان مع الآلهة، وعلاقته بالغيبي والمقدس؛ لذا كانت شخصياتها دينية، في حين هجرت الرواية الرؤية الدينية، والتصقت بحياة الإنسان بوصفه كائناً يعيش في مجتمع إنساني[2]. وقد عرفت الآداب الأوروبية القديمة الملاحم... أما الأدب العربي القديم، فلم يعرف الملاحم، بل عرف السير الشعبية في القرون الوسطى[3]، التي استحضرت أبطال العرب القدامى، كسيرة سيف بن ذي يزن، وسيرة عنترة، وسيرة بني هلال، وسيرة ذات الهمة[4].

تتميز السيرة بضخامة متنها، وينقسم متن السيرة الشعبية إلى أجزاء، وكل جزء يحمل عنواناً، ويشكّل وحدة حكائية، تتحدث عن مرحلة من مراحل حياة البطل في السيرة، وتتألف الوحدة الحكائية من سلسلة الأفعال المتعاقبة التي يقوم بها بطل السيرة لإشباع حاجة ما، مادية أو معنوية، وتستدعي رحيلاً عن المكان الذي يقيم فيه، والذهاب إلى مكان خصومه، والدخول معهم في مواجهة، وعودته ظافراً إلى مكانه، وقد أشبع الحاجة التي دفعته للرحيل[5].

وتتميز السيرة أيضاً بتعدد شخصياتها، واتساع المكان والزمان فيها، حيث يقتضي انتقال البطل من مكان إلى آخر، سعياً وراء إنجاز المهمة المكلف بها، واتساع رقعة الأحداث من جهة، وتعدد الشخصيات التي يلتقيها البطل أثناء رحلته من جهة أخرى، كما يؤدي قيام السيرة بعرض حياة البطل من ولادته إلى وفاته إلى امتداد الزمن.

إن رواية نجيب محفوظ «ملحمة الحرافيش» تتشابه والشكل العام للسيرة، من حيث ضخامة متنها، وكثرة شخصياتها، وتعدد أمكنتها، وامتداد زمنها، وأقسامها إلى عدد من الأجزاء، يحمل كل جزء عنواناً[6].

قدمت رواية «ملحمة الحرافيش» جانباً من الحياة في مصر إبان العصر المملوكي الذي استحضرته الرواية، من خلال الإشارة إلى ما شاع فيه، من وسائط النقل... بالإضافة إلى رصد عادات الناس وتقاليدهم، كالصراع الذي كان يجري بين الأبطال الأشداء لاختيار أقواهم، ليكون «فتوة» الحارة، وللمواجهات التي كانت تحدث بين رجالات الحارات. ورصدت رواية «ملحمة الحرافيش» ما كان شائعاً في العصر المملوكي من أناشيد دينية، كانت ترتل في التكايا التي انتشرت في ذلك العصر[7].

نجيب محفوظ

لقد نوّه العديد من النقاد والمبدعين بهذه «الملحمة المحفوظية»، من بينهم علاء الديب، الذي كتب: «لأول مرة أشعر بأنني أمام بناء فرعوني خالص في الأدب، بناء يستحضر عظمة المعابد، ونقوش الجدران، ويستحضر كذلك روح العدل والتوازن، بل التحدي المباشر لفكرة الزمن وجوهره، إنها أكمل وأنضج ما قدم فكر نجيب محفوظ وفنه».

واعترف عزت القمحاوي من خبرات قراءاته المتكررة بأنه يستطيع القول إن رواية «الحرافيش»: «تمنحني جديداً في كل قراءة؛ مؤمناً بأنها ذروة هرم نجيب محفوظ الإبداعي، فيها خلاصة أسئلته حول الحياة والعدم، الدين والسلطة، العدل والظلم. هذه ذاتها أسئلة (أولاد حارتنا) وعديد من رواياته، لكن برهافة أكثر، وحيث يبدو عالم الرواية مكتفياً بذاته دون الإحالة إلى تاريخ أو واقع خارجه؛ ما يجعل (الحرافيش) الأنموذج الأكثر كمالاً في العطاء المحفوظي»[8].

إن شخصية عاشور الناجي في الجزء الأول من رواية «ملحمة الحرافيش» تتقاطع وشخصية بطل السيرة الشعبية في جوانب عديدة، فهو مركز اهتمام السرد، لا في الحكاية الأولى التي تنتهي بموته واختفائه فحسب، بل في سائر الحكايات الأخرى من الرواية أيضاً، حيث يستحضر على أنه رمز البطل/ الفتوة الذي حكم بالعدل، ووقف إلى جانب الحرافيش والضعفاء من الناس، والمثال الأعلى لاستخدام القوة في سبيل الحق والخير، لا الشر والشيطان، وهو بذلك يشبه أبطال السير العربية[9]...

وتتفق رواية «ملحمة الحرافيش» والسيرة الشعبية في ضرورة وجود بطل فردي، يقود إلى تحقيق النصر، وتصحيح الإساءات، ولكنها تختلف عنها في طبيعة رؤية البطل الفردي، فإذا كانت السيرة الشعبية قد رفعت البطل الفردي إلى درجة التقديس، وجعلته القائد الملهم، فإن رواية «ملحمة الحرافيش» – على الرغم من تركيزها على وجود بطل فردي – وجهت اهتمامها إلى الجماهير، مؤكدة أن الفرد لن يستطيع فعل شيء إذا لم تتحرك الجماهير لتدافع عن مصالحها وحقوقها[10]، كما قدم نجيب محفوظ التصوف بشكل فلسفي، من خلال شخصية عاشور الناجي الذي يعلم ما يجري في الحارة، ليس من خلال التكية وغنائها الذي لا ينقطع، ولكن بوصفه الناجي أو المختار[11].

وإذا كانت «الثلاثية» تتناول قطاعاً عرضياً في حياة الأجيال بكل ملامحها وقضاياها الاجتماعية والسياسية والفكرية، فإن «ملحمة الحرافيش» تتناول قطاعاً طولياً في حياة الأجيال التي تعرض لها، تركز على قضية واحدة، تعالجها بدقة وحرفية عالية، ولا تغيب هذه الفكرة عن ذهن المؤلف على مدى الصفحات لحظة واحدة[12]، من خلال سرد يتمتع بالانسجام بين اللغة والشخصية، والمكان والزمان، وبنية روائية شديدة البساطة،

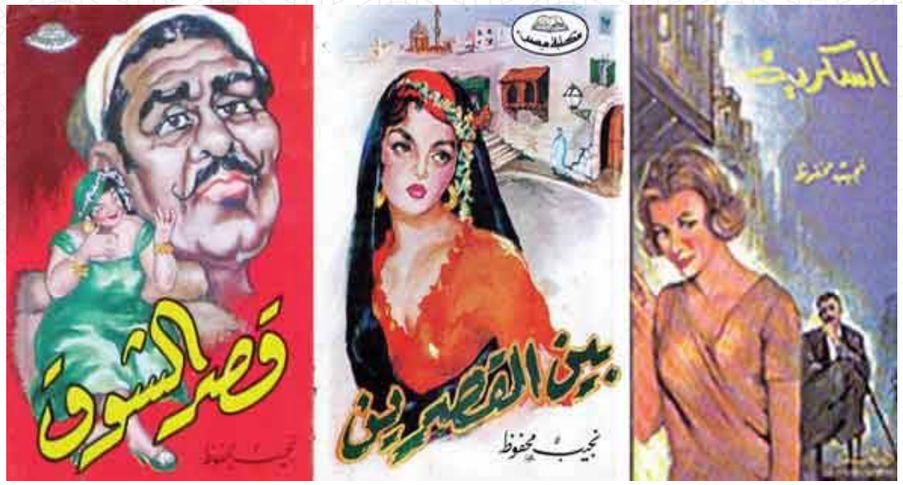

إذا ما قورنت بالعمارة المركبة للثلاثية.. عمارة الحرافيش بناء بسيط، أقرب إلى متوالية قصصية، كل حكاية تبدأ وتنتهي، حيث يسهم هذا الشكل البسيط في تحقيق رؤية الرواية، بتماثله مع موج البحر. لا يتوقف الموج ولا يستدير إلى الوراء، لكنه يندفع في تقدم متتابع يبتلعه الشاطئ، موجة بعد موجة. لا جديد ولا نهاية، بل حركة دائمة[13].

ويراوح مستوى التعبير بين المستوى اللغوي المباشر، إلى التعبير الشعري الدرامي، مروراً بالحوار اللاحواري، والتعبير بالصورة النابضة والقفل بالحكمة الإنسانية[14]. هذه التنويعات الأسلوبية ترصع لغة سردية سهلة منسجمة مع عالمها[15]...

1– «الأدب والأنواع الأدبية»، مجموعة من المؤلفين، تر: طاهر حجار، دار طلاس، ط1، دمشق 1985، ص153.
2– م.س، ص150.
3 «الأدب المقارن»، د. محمد غنيمي هلال، دار العودة، بيروت، د.ت، ط.5، ص159.
4– «توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة»، د. محمد رياض وتار، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2002، ص85.
5– «السردية العربية»، د. عبدالله إبراهيم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط.1، 1992، ص150.
6– د. محمد رياض وتار، م.س. ص86.
7– د. محمد رياض وتار، م. س، ص87.
8– «زيارة جديدة للحرافيش»، عزت القمحاوي، جريدة «الشرق الأوسط»، لندن، 6 دجنبر2020.
9– د. وتار، م. س. ص 89
10– م.س، ص93.
11– د. صلاح السروي، نقلاً عن: «تجليات التصوف في النص الأدبي»، تح: صبحي موسى، مجلة «الفيصل»، الرياض، ع. 513–514، أغسطس 2019.
12– «رحلة البحث عن المدينة الفاضلة»، د. محمد سيد أحمد متولي، موقع «مركز نماء للبحوث والدراسات». انظر الرابط:
https://www.nama-center.com/Articles/Details/40846
13– عزت القمحاوي، م.س.
14– «قراءة في ملحمة الحرافيش»، د. صلاح فضل، مجلة «العربي»، الكويت، ع . 252، نوفمبر1979.
15– عزت القمحاوي، م.س.

24 مشروعاً لمقاطعة زيهجيانغ

تم إدخالها في قائمة التراث غير المادي والقائمة الإضافية للدفعة الخامسة على مستوى الصين

نظرة عن زيهجيانغ: تقع مقاطعة زيهجيانغ على الساحل الجنوبي الشرقي للصين، وعلى الجناح الجنوبي لدلتا نهر يانجتسي، حيث تبلغ مساحة أراضيها 105.5 ألف كيلو مترمربع، والمساحة المائية 260 ألف كيلومتر مربع، ويبلغ طول الخط الساحلي 6500 كيلومتر. في نهاية عام 2018 كان عدد السكان المقيمين في المقاطعة 58.50 مليون نسمة، بزيادة 800 ألف نسمة على نهاية عام 2017.

الكاتبة: دلال تشنغ سيينغ
المترجم: عبدالرحمن فازينج
المراجعة: فاتن زهو لينغ

تتمتع زيهجيانغ بأربعة فصول متباينة على مدار العام، وأشعة شمس وفيرة، ومناخ ذي رياح موسمية شبه استوائية، كما تعرف بـ«أرض الأسماك والأرز، موطن الشاي والحرير، البقعة السياحية، أرض الآثار الثقافية». سمع عنها العديد من الأصدقاء الأجانب، وبأن «هناك جنة في السماء، وسوزهو وهانغزهو على الأرض»، هانغزهو هي عاصمة مقاطعة زيهجيانغ، وموقع مؤتمر قمة مجموعة العشرين G20 عام 2016. باعتبارها نقطة انطلاق السفينة الحمراء للثورة الصينية، ومنصة الريادة لمسيرة الإصلاح والانفتاح،

ومسقط رأس مهم لفكر الرئيس شي جين بينغ الاشتراكي ذي الخصائص الصينية في العصر الحديث، تُمثل مقاطعة زيهجيانغ 6.4٪ من الناتج المحلي الإجمالي الوطني، و14٪ من الصادرات الوطنية، وذلك على 1٪ من أراضي البلاد، وبوساطة 4٪ فقط من سكانها.

إذا كان الينبوع بعيداً، فيصير النهر أطول؛ وإذا كان جذر الشجر عميقاً، تكون أوراقه أوفر. الحضارة الصينية، التي امتدت لأكثر من 5000 عام، أنجبت حجماً كبيراً من التراث الثقافي غير المادي على هذه الأرض الشاسعة، وجذور الثقافة الصينية ممتدة ولا نهاية لها. وفي 10 يونيو 2021، تم إعلان المشاريع النموذجية لقائمة التراث الثقافي غير المادي على مستوى الصين، ونجحت مقاطعة زيهجيانغ في إدراج 24 نوعاً فيها، بينها 1 لفئة الموسيقى التقليدية، و1 لفئة الفن الشعبي، و2 لفئة الرياضة التقليدية والألعاب الترفيهية والألعاب البهلوانية، و2 لفئة الفنون الجميلة التقليدية، و9 لفئة المهارات التقليدية، و3 لفئة الطب التقليدي، و6 لفئة العادات الشعبية.

جاءت تسمية «لوحات القفزات الثلاث»، وباختصارها (القفزات الثلاث)، بناء على أداة الموسيقى المرافقة لـ(لوحات القفزات الثلاث)، حيث تنتشر بشكل واسع في المدن والمحافظات والقرى في شمالي زيهجيانغ حول مدينة هوتشو. في يونيو 2007، قد تم اختيارها كدفعة ثانية في قائمة التراث الثقافي غير المادي لمقاطعة زيهجيانغ.

الفنانون الشعبيون يضربون ثلاث لوحات خشبية بين أيديهم، يغنون بـ«لحن خاص مسمى إقناع المستمعين»، يحكون القصص التاريخية والأبطال في التاريخ.

فباعتبارها تراثاً ثقافياً محلياً بخصائص إقليمية رائعة، نتأمل أن تحتفظ النغمات المحلية بميزاتها الثقافية النادرة في ذاكرة الناس، وتدوم في إشعاع ضوئها الفريد.

الرياضة التقليدية والترفيه والألعاب البهلوانية:

أصبح «يي جين جينغ»، الذي كان في الأصل أسلوباً توجيهياً لمذهب طاوي، نوعاً من الكلاسيكيات في تمارين اللياقة البدنية التقليدية الشعبية، حيث

يؤدي إلى تحقيق هدف التقوية البدنية، من خلال تغيير العضلات والغضروفات، أي التمرينات الداخلية للأعضاء الخمسة، والتمرينات الخارجية للعضلات والغضروفات والعظام، مما يجسّد الأفكار الفيلسوفية القديمة في المنطقة الوسطى الصينية: «تأمل التكامل في الحياة وفي العقل»، من الطائفة الجنوبية من الطاوية.

في روايات الكاتب السيد جين يونغ، المعروف بكتبه عن ألعاب كونغ فو الصينية، تُطلق «يي جين جينغ» بـ«الرقم الأول لألعاب كونغ فو»، لا مثيل لها في فنها وقوتها بين هذه الألعاب، كونها من أروع فنون اللياقة التقليدية الكلاسيكية لتقوية الجسد بطريقة تدليك العضلات والغضاريف بالكفين.

تصوية الأعلام الكبيرة

تصوية الأعلام الكبيرة، المعروفة أيضاً باسم «تصوية أعلام النمر والتّنين الكبيرة»، لها تاريخ لأكثر من 800 عام. حيث تعدّ أحد الأنشطة المهمة لـ«سوق الشاي مياو الشعبية» تأثّراً بعلاقة عميقة بثقافة الشاي المحلية الفريدة وثقافة السوق الشعبية مياو والتقاليد والعادات الشعبية وثقافة نظرية الذوق والجمال البسيطة، إنها ناقل حي للتاريخ والثقافة المحليين، وأصبحت بطاقة الأعمال الثقافية لهذه البلدة الصغيرة.

محافظة بانان – مصدر أصلي لسلسلة من الجبال ومنبع لكل الأنهار والمياه – هي مهد لدويلة يوي القديمة، وحتى يومنا هذا، لايزال يسود القيام بتصوية علم الفولكلور المهيبة والمثيرة – تصوية

أعلام النمر والتنين الكبيرة. حيث يقوم سبعون أو ثمانون رجلاً شاباً بتثبيت علم ضخم في وسط الميدان الكبير، بارتفاع عموده ثلاثين إلى أربعين متراً، ومساحة سطحه من مائتين إلى ثلاثمئة متر مربع، ونظراً لأدائه المثير وأسلوب عرضه والدعائم التمثيلية العملاقة، وغرضه، ومظهره الخارجي الديني، صار هذا الأدب والفن الشعبي مغطّى بمعطف غامض سري، الأمر الذي يجعل الناس يرهبونه ويفضلونه، ويعجبون به، ويرثونه جيلاً بعد جيل، بازدهار وحيوية أكثر فأكثر.

فيكون نشاط «تصوية الأعلام الكبيرة» ليس عرضاً فنياً شعبياً عادياً فحسب، بل هو أيضاً حب قديم ممتد لآلاف السنين من العادات الشعبية الأصلية من قبل أهل محافظة بانان.

الفنون الجميلة التقليدية

تطريز شعر ونزهو هو حرفة تقليدية باستخدام شعر طبيعي اللون كالمواد الإنتاجية، بوساطة الإبر، فتقوم الفنانة بالرسم على القماش المشدود بالمشدة الخيزرانية المستديرة أو المربعة بطباشير مسحوقة، وتطرز المناظر والأشكال بالإبر والخيوط بالطريقة اليدوية المتميزة جداً بخصائص إقليمية ومهارات فريدة. إنّ أعمال تطريز الشعر مشهورة دائماً ببساطة الهيكل، وأناقة التصميم، وروعة المهارة، وحساسية التعبير، وسهولة الحفاظ عليها لفترة طويلة، فتؤخذ هدايا وطنية إلى الشخصيات المهمة الدولية في المناسبات الدبلوماسية.

وعلى الرغم من أن تاريخ تطريز الشعر يمتد لآلاف السنين في الصين، وأن فنانيه السابقين كانوا يركزون على الزهور والطيور والمناظر الطبيعية والشخصيات التاريخية التقليدية لا غير، إلا أنه تقدّم وتوسّع إلى أن أصبحت الشخصيات في العصر الحاضر جزءاً من موضوعاته، فصارت ميزة ملحوظة في هذا الفن.

نقش على جذور الخيزران (نقش على جذور الخيزران في محافظة شيانغشان):

يلتزم فن النقش على جذور الخيزران في محافظة شيانغشان مفهوم تحويل النفايات إلى كنز، حيث يجمع بين الجمال الطبيعي والجمال الاصطناعي. وفي عام 1996، تم تسجيل محافظة شيانغشان بأنها «مسقط الرأس لفن النقش الشعبي الصيني على جذور الخيزران». ومن ثم تم إدراجه في الدفعة الثانية من قائمة التراث الثقافي غير المادي لمقاطعة زيهجيانغ في عامي 2007 و2018، كما تم اختياره في الدفعة الأولى من فهرس الحرف التقليدية على قيد التنشيط في مقاطعة زيهجيانغ.

الخيزران هو تجسيد لرجل نبيل وعضو من «السادة الأربعة» (يقصد أربعة أنواع من الأزهار والأشجار، وهي تتشابه مع هؤلاء السادة ذوي الأخلاق الخالدة في تاريخ الصين، وهي البرقوق والأوركيد والخيزران والأقحوان)، وعلى الرغم من أنه ليس قوياً، إلّا أنه منتصب ومستقيم، ولا يخاف أبداً البرد الشديد والحرارة ،كونه أخضر اللون دائماً، ويُعرف الخيزران وزهرة البرقوق والصنوبر باسم «الأصدقاء الثلاثة للسنوات ولنزلات البرد»، بحيث تعلق بعمق لا ينفصم مع الحياة الثقافية البشرية؛ إذ إن بلاد الصين ليست غنية بمواردها فحسب، بل هناك أيضاً تاريخ طويل في زراعته واستخدامه واستهلاكه، حيث ترك آثاراً واسعة في اللبس والأكل والإسكان والنقل للشعب الصيني وفي النواحي الشاملة الأخرى. بينما كان ينشد الأدباء القدماء الخيزران، ويرسمون عليه، بدؤوا يقومون أيضاً

بمتعة وجمال آخر ذي صلة بالخيزران، هو النقش عليه، حيث تطور النقش على جذور الخيزران حتى وصل إلى يومنا هذا.

الموسيقى التقليدية

تنتشر أغنية الصيد من شيغنسي بشكل رئيس بين الصيادين في مجموعة جزر تشوشان من مقاطعة زيهجيانغ، بمحورها الرئيس شيغنسي، وهذا دليل تاريخي على مسيرة تطوير صيد الأسماك في المنطقة. ومنذ عام 2005، بدأت حكومة المحافظة تحاول حماية أغاني الصيد بشتى السبل، فساعدت على إنقاذ أكثر من 60 أغنية أصلية للصيادين، ولحنت أكثر من 30 أغنية جديدة. وتؤدي الفرق الفنية الشعبية أكثر من 50 عرضاً داخل تشوشان وخارجها كل عام.

في أثناء عملية الصيد نشأت الأغاني على قمة تيارات وموجات البحر الشرقي، وهي أغاني حياة الصيادين وأسرهم. فمنذ لحظة ولادتها على ألسنة الصيادين وإلى الآن، ما غادرت هذا البحر أبداً؛ لذلك تمتلئ هذه الأغاني بحيوية قوية ناشئة من البداية إلى النهاية.

يعدّ مهرجان لابا، الذي كان يُعرف سابقاً باسم مهرجان لابا من معبد لينجين البوذي المشهور، أحد أهم الأنشطة الفولكلورية في مدينة هانغزهو قبيل عيد الربيع، حيث يرثه الراهبون والجماهير لسكاني المدينة. ويتميز بالتبرع بحساء الأرز المسمى «لابا»؛ لنشر روح الشكر والحب، وتوسيع الطاقة الإيجابية للمجتمع إلى أن ينشأ جو من المحبة والمودة، وتسود الشراكة والامتنان فيه.

إشعال النار

يقام نشاط إشعال النار في بانان كل عام بالقرب من عيد المهرجان التاسع المزدوج التقليدي الصيني، أو عيد ميلاد هو قونغ (هو زي – شخص تاريخي معروف في البلد بعدالته وحكمته في عهد أسرة سونغ الملكية). كعرف قديم، فإن إشعال النار له دلالات غنية وفريدة من نوعها، مثل التطور التاريخي والطقوس والمعتقدات والأشكال الفنية، ما يوفر معلومات قيمة للأنثروبولوجيا والفولكلور وعلم المجتمع والدراسات الثقافية والدراسات الفنية.. إلخ.

كان القرويون الذين يشعلون النيران عرياناً وحفاة القدمين، ويصرخون ويمشون ذهاباً وإياباً في كومة الفحم الأحمر الساخنة، ودوت هتافات حشد المتفرجين على هواء أنحاء القرية الجبلية. إن إشعال النار من العادات الشعبية التقليدية التي

امتدت لآلاف السنين في محافظة بانان، وهي معروفة أيضاً بالرقص على الفحم المحروق، حيث تم إدراجه في قائمة التراث الثقافي غير المادي في مقاطعة زيهجيانغ في الدفعة الأولى.

الفولكلور متجذر في حياة الشعب العامة، كالتربة الخصبة، وهو أصل الأمة وروحها، حيث يُتوارث ويتطور وينمو باستمرار في تاريخ مسيرة البشر، ما يوفر للناس إحساساً مستمراً بالهوية.

الفولكلور التقليدي

في إطار 24 مصطلحاً للطاقة الشمسية، يمثل ليشيآه بداية الصيف، المعروف أيضاً باسم «مهرجان ليشيآه»، وهو مهرجان شعبي تقليدي. ففي الصيف، تتجمع الجماهير بالقرب من معبد نيانغنيانغ ببلدة بانشان، من دون دعوة معينة، للقيام بطقوس «توديع الربيع واستقبال الصيف»، وفقاً للعادات المحلية، والقيام بعملية الإجراءات بالخطوات للمرسم وتناول أرز أسود، وطهي الأرز البري، ووزن الناس، وتنظيم السوق الشعبية مياو وغيرها من الفعاليات الأخرى، آملين صحة وعافية وصيف آمن.

«الأرز الأسود».

من المستحيل التحقق من السنة التي بدأ فيها «مهرجان ليشيآه»، ومع ذلك، تم الاندماج بين تقاليد أهل المقاطعة والبلد المحلي، بالضبط من خلال تطبيقات الحياة والتغيرات الاجتماعية من قبل الجماهير التي تعيش في المنطقة من عصر الزراعة، حيث استمرت مئات عدة من السنين على الأقل.

يعد «توديع القارب الصيفي الكبير» نشاطاً فولكلوريا شاملا، يقام في قوى جياوجيانغ لصيد الأسماك في جياوجيانغ كل عام، خلال الفصل الشمسي من مصطلح شياوشو (الصيف الصغير)، إلى مصطلح داشو (الصيف الكبير)، ما ينعش الذاكرة التاريخية للناس عن أسلافهم الذاهبين إلى البحر، ويجسد تمنيات الصيادين المحليين في «القضاء على الكوارث الوبائية الصيفية والدعاء للأمن والسلام»، إنه بلورة للتعايش بين الحضارة الزراعية والحضارة البحرية (جياوجيانغ المحلية بالضبط) في ظل 24 مصطلحاً للطاقة الشمسية.

ينتشر مهرجان فتح المحراث في ميوان في مصطلح مانغجونغ، المعروف أيضاً باسم مهرجان نيو دوانغ، بشكل أساسي في منطقة ميوان الجبلية في محافظة يونهي من قبل كل من مجموعتين

القوميتين العرقيتين شيه وهان، تعبيراً عن مفهوم التعايش المتناغم بين البشر والطبيعة بطريقة الأنشطة المتعددة؛ لكي توعية ثقافة 24 مصطلحاً للطاقة الشمسية وكذلك للإسهام المهمة في تعزيز نهوض الأرياف.

عادات فتح المحراث في محافظة يونهي لها تاريخ طويل أكثر من 800 عام، إذ إن درجة الحرارة في المناطق الجبلية في يونهي وميوان منخفضة نسبياً؛ لذلك يتم اختيار حفل الحرث في مصطلح مانغجونغ خلال موسم الزراعة السنوي، ما يشير إلى بدء موسم الزراعة المزدحم، والدعاء للبركة. يتضامن أهل قوميتي شيه وهان في عملية الزراعة الصيفية في مانغجونغ، آملين الجو الصالح، والمطر المناسب لازدهار البلاد والشعب.

تعدّ السوق الشعبية مياو (بلد شاوشينغ الملك شون) حدثاً فولكلورياً قائماً في منطقة كوجي الجبلية جنوبي مدينة شاوشينغ، يقام بشكل دوري في اليوم 27 من الشهر التاسع للتقويم القمري التقليدي الصيني أو في الفترة ما بعده أو قبله، حاملاً المعتقدات الروحية لعامة الناس، مما يفيد إفادة إيجابية لتحفيز الوعي الثقافي لدى الجماهير، وتعزيز الثقة بالنفس للثقافة الذاتية، وارتفاع الهوية الثقافية بطريقة التركيز على عقيدة الملك شون، وتعزيز «الخلق والأدب أولاً» و«بر الوالدين في المرتبة الأولى».

إرث الحضارة الصينية وحماية الوطن الروحي.

يمر الوقت، تتغير المصطلحات الشمسية، بينما نتذوق الذكريات الحصرية للشعب الصيني في العادات التقليدية؛ نمسك الإبر والغرز باليد، ونحس ونشعر بالتراث الثقافي المتسلسل الذي يمتد لألف عام في ظل تقنية فريدة غرزة وغرزة؛ في الشوارع والأزقة وفي الحارات الضيقة، نسمع أصوات الأوبرا المحلية الشعبية المبعوثة من التلفزيونات الشغالة في البيوت العادية.

تنهد الكاتب الشهير فنغ جيكاي ذات مرة: «روح أمتنا ليست فارغة، إنها محفوظة فعلياً وجسدياً في تراثنا الثقافي وتوارثها جيل إلى جيل بفضل هذا التراث القوي في التراث الثقافي الثمين». إنها روح وطنية عريقة، وهي متجذّرة في أعماق الزمن، وقد ازدهرت بعد آلاف السنين، ومازالت مزدهرة الآن، وسوف تظل مزدهرة في المستقبل، ولن تنقطع إلى الأبد.

مهرجانات يابانية
تحتفي بالإنسان والطبيعة

تتمتع اليابان بطبيعة ساحرة، ومناخ متنوّع من أربعة فصول خلال العام.

رية ناكاو
كاتبة وفنانة – اليابان

يعيش اليابانيون في وئام مع الطبيعة، التي تُثري بتنوّعها وتغيرها الموسمي ارتباط الشعب الياباني بها، وتغرس في قلوبهم حبهم الدائم لها، بما فيها من نباتات وأشجار وحيوانات وطيور، والتي تمثل جزءاً أصيلاً من الحياة اليومية للمجتمع الياباني؛ لذا، ليس من الغريب أن نجد العديد من المهرجانات الشعبية والتقاليد التي تقام في مختلف مناطق اليابان منذ زمن بعيد للاحتفاء بالطبيعة، والتي مازالت مستمرة حتى الآن.

في اليابان هناك يومان يمثلان التغيير الموسمي بين الشتاء والربيع، والصيف والخريف، الأول هو يوم الاعتدال الربيعي في شهر مارس، وهو يوم للاحتفاء بالطبيعة، وحب المخلوقات، والثاني هو يوم الاعتدال الخريفي في شهر سبتمبر، وهو يوم للاحتفاء بالأجداد، واستذكار الموتى، وكلاهما عطلة رسمية وطنية، وفيهما يكون طول النهار والليل متماثلاً تقريباً.

أسبوع الاعتدال، وفيه يتم أداء تقاليد تذكارية

وطقوس دينية بوذية، حيث يقوم الناس بزيارة القبور والأضرحة، ويقدمون الحلويات التي تسمى «موتشي»، وهي عبارة عن كعكة الأرز المهروس. وكل أسبوع اعتدال له اسم مختلف، حسب النباتات الموسمية التي تتزامن معه.

ونظراً لأن اللون الأحمر يعدّ لوناً شعبياً للاحتفالات في اليابان، غالباً ما يتناول الناس الفاصوليا الحمراء والأرز الأحمر في أغلب المناسبات الاجتماعية والخاصة والمهرجانات، على سبيل المثال الاحتفال بالولادة، والالتحاق بالمدرسة والتخرج، وبلوغ سن الرشد، وأعياد الميلاد عند بلوغ 60، و70، و77، و88، و100.

كما يوجد العديد من مهرجانات أخرى للاحتفاء بالطبيعة، من بينها الاحتفال بمشاهدة اكتمال القمر. في القرن التاسع تقريباً، في فصل الصيف في ليلة اكتمال القمر، وهي ليلة يكون فيها الهواء أصفى ما يكون خلال العام، أقيم أول مهرجان مشاهدة اكتمال القمر في القصر، ويكون الاحتفال بعدم مشاهدة القمر أو البدر مباشرة، بل يشاهد انعكاسه على البحيرة أو البركة، وحتى داخل فنجاناً صغيراً من القارب، وكانت مشاهدة اكتمال القمر مصدراً لإلهام النبلاء لتأليف القصائد الشعرية أثناء الاستمتاع بمشاهدته.

يتزامن ذلك مع موسم زراعة الأرز، حيث يزدان الناس بالأعشاب الفضية، وعمل أذن من الأرز، ثم يقدمون الزلابية الحلوة المصنوعة من الأرز على شكل دائري يشبه البدر للقمر.

هناك أعياد وطنية أخرى للاحتفاء بالطبيعة، مثل «يوم البحر» في شهر يوليو، و«يوم الجبل» في شهر أغسطس. كما توجد أعياد وطنية تحتفل بنمو الأطفال واحترام كبار السن. على سبيل المثال (مراسم بلوغ سن الرشد) في شهر يناير، ويكون فيه الاحتفال ببلوغ سن العشرين عاماً، و«يوم الصبي» في شهر مايو للاحتفال بنمو الصبيان، و«يوم احترام كبار السن» في شهر سبتمبر، وفيه يتم تقدير كبار السن الذين أسهموا في المجتمع لفترة طويلة،

ويحتفلون بطول أعمارهم.

أما المهرجانات الأخرى فهي ليست أعياداً وطنية، لكن الناس يحتفلون بها، وهما «مهرجان الدمى – يوم الفتاة»، في شهر مارس للاحتفال بنمو الفتاة، «عيد الأم» في شهر مايو، و«عيد الأب» في شهر يونيو.

هناك عطلة وطنية أخرى تسمى «يوم الثقافة» في شهر نوفمبر، والهدف من هذه العطلة هو تعزيز الثقافة من خلال حب الحرية والسلام. في هذا اليوم، تقام العديد من الفعاليات الثقافية في المتاحف والمنظمات الثقافية، وحفل كبير يقام في القصر الإمبراطوري لتكريم المنجزات الثقافية.

يوم الطفل (مهرجان الصبي)

«يوم الطفل» الأول من شهر يونيو، وقد أعلن في عام 1925.

«اليوم العالمي للطفل» 20 نوفمبر، وتم الإعلان عنه في عام 1954.

العديد من البلدان تخصص يوماً محدداً للاحتفال بالأطفال من كل عام، وربما يختلف هذا اليوم من دولة لأخرى. يصادف «يوم الطفل» في اليابان الخامس من أيار (مايو) وقد أعلن في عام 1948 عطلة وطنية للاحتفال بسعادة الأطفال وصحتهم ونموهم، وأيضاً تقديراً للأم التي تلدهم.

في الأصل، تعود نشأته هذا المهرجان إلى القرن الثامن الميلادي، حيث كان يطلق عليه تقليدياً اسم «تانجو نو سيكين»، ولكنه لم يكن مخصصاً للصبية أو الأطفال في ذاك الوقت، لقد كان من طقساً يمارس من أجل طلب الوقاية من الأمراض والكوارث، ثم تغير لاحقاً إلى مهرجان الصبي، وفيه يتمنى الأبوان نمواً صحياً ونجاحاً في الحياة لصبيانهم.

مهرجان الفتاة في شهر مارس

في هذا اليوم يزيّن الناس أوراق أبواب بيوتهم بأوراق أزهار السوسن، ويتركونها على أجسامهم، بل يستحمون بها وبجذورها في تلك الليلة، وذلك للاعتقاد بأن زهرة السوسن لديها القدرة على الحماية من الشرور، بسبب رائحتها القوية.

في القرن الثالث عشر، أصبحت اليابان مجتمع محاربي الساموراي، وتم تغيير المهرجان للاحتفال بنمو الصبيان؛ لأن زهرة السوسن تبدو سيوف يابانية حادة وطويلة، والتي تسمى «كاتانا». بعد القرن السابع عشر عندما أنجب شوجون (جنرال) ولداً، احتفلوا بذلك خلال تزيين دمية محارب الساموراي (دمية مايو)، و«كابوتو» (خوذة الساموراي) في الخامس من مايو، وكلاهما يمثل أهمية كبيرة للرجال في مجتمع الساموراي، لأنهما يرمزان للقوة والصلابة، ورمز لحماية الأطفال من الحوادث والمرض.

تعلق الأسر من عامة الناس لافتات برسومات لسمك الشبوط (سمك المبروك) في حدائق منازلها؛ للدعاء من أجل النجاح لابنهم في المجتمع، حيث يسمى هذا اليوم «كوي نوبوري»، وتعني الكلمة الأولى سمك الشبوط (المبروك)، والكلمة الثانية لافتات أو أعلام، ويرمز هذا النوع من الأسماك إلى النجاح في الحياة، وذلك لأنه يتميز بجراءته وتحمله للظروف المائية الصعبة، وسباحته في الأنهار سريعة التدفق، ويتسلق الشلالات؛ لهذا يستخدمه الآباء رمزاً للتمني لأطفالهم بأن يكونوا أقوياء وبصحة جيدة مثل سمك الشبوط.

يتكون علم «كوي نوبوري» عادةً من ثلاثة ألوان، الأسود والأحمر والأزرق، تمثل سمكة مبروك باللون الأسود الأب، ويمثل الوسط باللون الأحمر الأم، بينما يمثل الأصغر باللون الأزرق الابن، ويتم تعليق العلم خارج المنزل، بينما داخل المنزل يزين بخوذة محارب الساموراي ودمية الساموري كجزء من الاحتفال.

في هذا اليوم يتناول الأطفال الحلوى اليابانية التقليدية «تشي ماكي» و«كاشيوا موتشي» المصنوعة من عجينة الأرز المهروس. «تشي ماكي» هي عبارة عن زلابية أرز ملفوفة بأوراق الخيزران، وترمز إلى تعويذة وقائية من الشر.

أما «كاشيوا موتشي» فهي عبارة عن كعكة أرز ملفوفة بأوراق البلوط، ومحشوة بمعجون الفاصوليا الحمراء بالداخل، وتستخدم أوراق شجرة البلوط لأن القديمة منها لا تسقط حتى تنمو أوراق جديدة، وتعتبر رمزاً لازدهار الأحفاد.

أدب الرحلة

د. منّي بونعامة
مدير التحرير
mini.abdelkader@yahoo.com

تعدّ الرحلات أحد مصادر المعرفة الإنسانية، حيث ارتبطت حركة الإنسان خلال حياته الأولى بالانتقال والترحال، وتؤدي إلى تعرّف الرحّالة أحوالَ الشعوب وعاداتها، وقِيمها وأديانها وتقاليدها، وإسهاماتها الحضارية والإنسانية؛ لذلك تنوّعت الرحلات، وتعدّدت أهدافها وبواعثها ودوافعها.

وتعني كلمة الرحلة لغةً الانتقال، ومضمونها السفر؛ أي حركة الانتقال والعبور البدني أو الفكري عبر الأمكنة أو الأزمنة، متنقلاً بجسده من مكان لآخر، معايناً وواصفاً ما يراه.

وتتجلى القيمة الأدبية للرحلة فيما «تعرض فيه موادها من أساليب ترتفع إلى عالم الأديب، وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني». وقد نشأ على غرار هذا النمط الرّحلي فنٌّ عُرف بأدب الرحلة، وهو «مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلته في بلاد مختلفة، وقد يتعرّض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، وتصوير المناظر الطبيعية التي شاهدها، وسرد مراحل الرحلة، وقد يجمع بين كل ذلك في آنٍ واحد، بدرجة من الدقة والصدق وجمال الأسلوب».

و«أدب الرحلة» جنس أدبي تمتزج فيه شخصية الكاتب بمَلَكته الأدبية، وتتخذ من الرحلة موضوعاً لها، أو هي ذلك النثر الذي يصف رحلة أو رحلات واقعية، قام بها رحّال مميز، موازياً بين الذات والموضوع، من خلال مضمون وشكل مرنَين، بهدف التواصل مع القارئ، والتأثير فيه.

ويكمن الفرق بين تسجيل الرحلة وأدب الرحلة، في أنّ الأول مجرد ذكر للتفاصيل الواقعية للرحلة، والثاني قالب أدبي تتأثر فيه فكرة الكاتب وتجاربه بشخصيته وخياله ونزعاته الأدبية.

وأول من استخدم هذا المفهوم (أدب الرحلة)، هو كراتشكوفسكي، عندما كتب عن الأدب الجغرافي في بداية القرن التاسع عشر.

وثمة مناهج متنوّعة، وطرائق متعدّدة، لتدوين أدب الرحلة، منها: الزماني، والمكاني، والموضوعي، والانتقائي، والاستدعائي، ولكل منها نمطه التحريري المختلف في تدوين تفاصيل الرحلة، والتركيز على موضوعات معينة في السرد والعرض، ويضيق السياق هنا عن تتبعها بحذافيرها؛ لأن ذلك سيخرجنا عن موضوعنا، ويمكن الرجوع فيها للمراجع المتعددة.

by them in their creative works that commended trees in general.

Since heritage is a mainstay in the Emirati society representing a basis for cultural identity and popular memory, it featured many types of expression, depiction and celebration of the mangrove tree in the community's memory. It yielded values, customs, traditions, experiences, folk literature, artistic works and heritage experiences, which, in general, translate depth, originality and richness of heritage.

The Emirati cultural heritage is rich in many important flashes and valuable heritage fragments that show how Emiratis were using and depending on mangrove tree in their lives. The tree's bark was used in dyes and the wood for building houses, furniture and boats due to its water resistance and its hardness as well. While leaves were used as food for animals, and its fruits are edible. People were also cutting mangroves from beaches to be used as a firewood early last century.

Many ancient heritage books and linguistic dictionaries supported this meaning. Ibn Sayyidah stated in his "Al Mokhassass" book that the Arabs used to wood the mangrove tree and ignite it for its good smell. And this takes us to an important topic related to the extent to which the Arabs used this type of trees in the past. According to "Lisan Al-Arab" book of Ibn Al Mandhour, mangrove is a specie of trees, Abu Hanifa said mangrove is a tree that grows in water, and it resembles the platanus tree in thickness of stem and the whiteness of its peel. Its leaves are like almonds' leaves, and its fruits are like the fruit of holy basil. Although seawater is the enemy of plants, it is not to mangroves and acanthaceae, as they grow in it. It is pasture for cows and camels, which wad into the water to eat tips of its leaves.

The association of mangrove with the Emiratis' life in the past, their interaction with it, and occupying a large part of their cultural and social identity, affirms the need to preserve the heritage of this tree. Awareness of its importance and the need to preserve it is necessary, because of its important and inspiring position in the Emirati cultural heritage. It is considered an essential element in the cultural heritage and folklore traditions of the coastal communities in the country.

How beautiful it is to take care of this heritage tree, and to organize heritage and cultural festivals to celebrate it and to revive its history and heritage in order to preserve it from extinction. The Sharjah Institute for Heritage spares no efforts to support such important heritage trends, and welcomes the cooperation in order to achieve that noble purpose, which is embodied in this special file on mangrove tree.

Mangroves in the UAE heritage

Plants and trees of all kinds, shapes, functions, uses and benefits were an integral part of the memory of Emirati society. Therefore, we find them appearing in different ornaments and manifested in multiple images. In folk literature, including poetry, sayings, proverbs, maxims, songs and chants. They also appears in artistic creativity, whether it is traditional crafts or folk games. Artists were also inspired